الكِتَابُ الرَّابِعُ (٤)

من

الجَامِعُ لِكُتُبِ الإمَامِ أَبِي بَكْرٍ الآجُرِّي رَحِمَهُ اللهُ

كِتَابُ الغُرَبَاءِ

تأليف

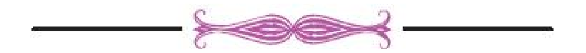
أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الآجُرِّي

تحقيق

أَبِي عَبْدِ اللهِ عَادِل بْنِ عَبْدِ اللهِ آلِ حَمْدَان

عفا الله عنه





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

أما بعد؛

فهذا الكتاب الرابع من كتاب «**الجامع لكتب الإمام أبي بكر الآجري** رَحِمَهُ اللَّهُ»، وهو «**كتاب الغرباء**».

وقد ذكر المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ فيه أوصاف الغرباء، وأحوالهم، وما ورد في فضلهم، وشرفهم، وما قيل فيهم من الأخبار والحكايات والأشعار.

وهذا الكتاب مع صِغرِه إلَّا أن المُصنِّف قد وفِّق في تصنيفه، والتبويب له، والتعليق على كثيرٍ من آثاره، فجاء كتابًا حافلًا ماتعًا في بابه.

وقد اشتمل هذا الكتاب على الأبواب التالية:

١ ـ ذكر الغُرباء من المؤمنين وأوصافهم في الدنيا وعلى أي الأحوال هم فيها.

٢ ـ باب الحث على بلوغ مراتب الغرباء.

٣ ـ بابُ صفة الغريب الذي لو أقسم على الله عَزَّوَجَلَّ لأبرَّ قسمه.

٤ ـ باب ذكر من كان يُحب الغُربة ويُخفي نفسه وينتقل من موضع إلى موضع.

٥ ـ باب في مَوتِ الغريبِ.

❖ نسبة الكتاب للمصنف:

لا شك في صحة نسبة هذا الكتاب للآجري رَحِمَهُ اللهُ، فقد ذكره ابن خير الأشبيلي في «فهرسته» (٦٤٥)، وهو كذلك في ترجمته في «السير» (١٦/ ١٣٤)، وفي «أنشاب الكتب في أنساب الكتب» للسيوطي (٥٧٣)، وغيرها ممن ترجم له.

وقد اعتمدت في إخراج هذا الجزء على نسخة خطية وحيدة، وهي من مخطوطات المكتبة الظاهرية.

وتقع في سبع عشرة لوحة، في كل لوحة وجهان.

وقد كتبت بخط مقروء.

وعلى النسخة كثير من السماعات، مما يدل على العناية بها وصحة نسبتها للمؤلف.

وقد سبق وأن حقَّق هذا الكتاب ونشره الشيخ بدر بن عبد الله البدر بمكتبة المعلا بالكويت عام (١٤٠٨هـ)، وقد أفدت منه، فجزاه الله خيرًا.

وبعد فراغي من تحقيق الكتاب وقفت على تحقيق آخر له قام به رمضان أيوب، ونشرته دار ابن القيم بالمدينة عام (١٤١٤هـ)، واعتمد على نسختين خطيتين ظاهريتين، وقد أحسن في ضبط نص الكتاب، وقد أفدت من تحقيقه، فجزاه الله خيرًا.

وما كان بين [ ] من زيادات فهو منه.

صورة المخطوط

كتاب الغرباء

تأليف أبي بكر محمد بن الحسين الآجري

رواية الزاهد أبي القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بُشران.

رواية الشيخ الزاهد أبي منصور محمد بن أحمد بن علي المقرئ رَحِمَهُ اللَّهُ.

رواية الشيخ الإمام الحافظ العالم الثقة أبي الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي عنه.

سماع عبيد الله بن أحمد بن علي بن عبد الله بن السمين البغدادي عنه أخبرنا جماعة من شيوخنا، أنا ابن مردس، أنا ابن الخباز، أنا ابن عبد الدائم، وأخبرنا جماعة، أنا ابن المحب، أخبرتنا زينب بنت الكمال، أنا إبراهيم بن الخير، وكتب يوسف بن عبد الهادي:

وقف بالضيائية بدمشق على من ينتفع به من المسلمين لا يعار إلَّا برهن إلَّا أن يكون فقيرًا صالحًا ويقدم على الغني.

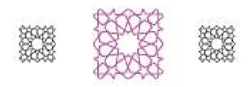
سمع بعضه من لفظي؛ أولادي: عبد الهادي، وأبو بكر عبد الله، وبدر الدين حسن، وأمه بلبل بنت عبد الله، وعلي، وفاطمة، وصح ذلك في يوم الخميس آخر شهر جمادى الأولى سنة ستٍ وتسعين وثمانمائة، وأجزت لهم أن يرووه عني وجميع ما يجوز لي وعلى روايته بشرط أهله.

وكتب

يوسف بن عبد الهادي

رب يسر برحمتك

أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو منصور محمد بن أحمد بن علي الخياط المقرئ رحمه الله، قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران ـ قراءة عليه من أصله ـ في جمادى الآخرة من سنة سبع وعشرين وأربعمائة، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري قراءة عليه بمكة في ذي القعدة من سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، قال:



١ ـ ذكر الغُرباء مِن المؤمنين وأوصافهم في الدنيا وعلى أي الأحوال هم فيها(١)

....

(١) جاء وصف الغرباء في أحاديث كثيرة، ومنها:
«الذين يصلحون إذا فسد الناس».
«النُّزَّاع من القبائل».
«أناسٌ صالحون قليل، في ناس سوء كثير، من يَعصيهم أكثرُ ممن يُطيعهم».
«الذين يفرون بدينهم من الفتن».
«الذين يصلحون ما أفسد الناس من سُنتي».
«الذين يصلحون حين فساد الناس».
«فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس».
«الفرَّارون بدينهم، يبعثهم الله تعالى مع عيسى ابن مريم عليه السلام».
«الذين يتمسَّكون بالكتاب حين يُترك، ويعملون بالسُّنة حين تُطفأ».
فهذه بعض الروايات في وصف هؤلاء الغرباء، ومنها الثابت الصحيح، ومنها الضعيف؛ ولكن ليس بينها اختلاف كبير ولا تباين كما شرح ذلك ابن رجب رحمه الله في كتابه «كشف الكُربة في وصف أهل الغُربة». فقد قال: وهؤلاء الغُرباء قسمان:
أحدهما: من يُصلح نفسه عند فساد الناس.
والثاني: من يُصلح ما أفسد الناس وهو أعلى القسمين وهو أفضلهما. اهـ.
ـ وقال ابن القيم رحمه الله في «المدارج» (٣/ ١٨٦) بعد ذكر بعض الروايات السابقة في وصف الغرباء: فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون، ولقلَّتهم في الناس جدًّا؛ سموا: غرباء، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غُرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، =

١ ـ **حدثنا** أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني، قال: حدثنا محمد بن آدم المصيصي، قال: حدثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعودُ كما بدأ غريبًا، فطُوبى**[١] **للغُرباء**».

قيل: ومن هم يا رسول الله؟

قال: «**الذين يصلحون إذا فسدَ الناس**»[٢].

= وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السُّنة الذين يُميزونها من الأهواء والبدع فيهم غُرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشدُّ هؤلاء غربة؛ ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًا، فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين، الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، أولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة المُوحشة، وإن كانوا هم المعروفين المُشار إليهم. اهـ.

(١) ذكر ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٤/ ٤٥٥) في معنى (طوبى) عدة أقوال عن السلف، فمنهم من قال: طوبى بمعنى حسنى لهم وفرح.

وقيل: هي الجنة. روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومجاهد.

وقيل: إن طُوبى شجرة في الجنة، وهو مروي عن أبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنهم، ومغيث بن سُمي، وأبي إسحاق السبيعي، وغير واحد من السلف.

(٢) رواه الداني في «السُّنن الواردة في الفتن» (٢٨٨).

وورى لفظه الأول مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما سيأتي.

وتفسير الغرباء بأنهم «**الذين يصلحون ما أفسد الناس**»: مروي عن سهل بن سعد، وسعد بن أبي وقاص، وجابر بن عبد الله، وابن عمر رضي الله عنهم، بأسانيد يقويٍّ بعضها بعضًا.

ـ قال ابن القيم رحمه الله في «المدارج» (٣/ ١٨٤): قال شيخ الإسلام [يعني: الهروي الأنصاري]: (باب الغربة)، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]. استشهاده بهذه الآية في هذا الباب يدل على رسوخه في العلم والمعرفة وفهم القرآن، فإن الغرباء في العالم هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية، =

٢ ـ أخبرنا محمد، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري، وأبو العباس أحمد بن سهل الأشناني، قالا: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود كما بدأ، [٤٩/أ] فطُوبى للغُرباء».

قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟

قال: «النُّزَّاع من القبائل»[(١)].

= وهم الذين أشار إليهم النبي ﷺ في قوله: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء»، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس».

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، عن زهير بن عَمرو بن أبي عَمرو مولى المطلب بن حنطب، عن المطلب بن حنطب، عن النبي ﷺ قال: «طوبى للغرباء».

قالوا: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «الذين يزيدون إذا نقص الناس».

فإن كان هذا الحديث بهذا اللفظ محفوظًا لم ينقلب على الراوي لفظه وهو: «الذين ينقصون إذا زاد الناس»، فمعناه: الذين يزيدون خيرًا وإيمانًا وتُقى إذا نقص الناس من ذلك، والله أعلم. اهـ.

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٥٠٧)، والترمذي (٢٦٢٩)، وابن ماجه (٣٩٨٩)، وعبد الله بن أحمد في «زوائده على المسند» (٣٧٨٤).

قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، إنما نعرفه من حديث حفص بنِ غياث، عن الأعمش... تفرَّد به حفص.

وقال الترمذي رحمه الله: سألت محمدًا ـ يعني: البخاري ـ، عن هذا الحديث؟

فقال: لا أعلم أحدًا روى هذا الحديث غير حفص بن غياث، وهو حديث حسن. «ترتيب علل الترمذي الكبير» (٦٢٨).

ـ في «النهاية» (٥/ ٤١): هم جَمع نازع ونَزيع، وهو الغريب الذي نَزَع عن أهله وعشيرته، أي: بَعُد وغاب. اهـ.

ـ قال ابن القيم رحمه الله في «المدارج» (٣/ ١٨٨): ومعنى قول النبي ﷺ: «هم النُّزاع من القبائل»: أن الله سبحانه بعث رسوله وأهل الأرض على أديان =

= مختلفة، فهم بين عُبَّاد أوثان ونيران، وعُبَّاد صور وصُلبان، ويهود وصابئة وفلاسفة، وكان الإسلام في أول ظهوره غريبًا، وكان من أسلم منهم واستجاب لله ولرسوله غريبًا في حيِّه وقبيلته وأهله وعشيرته.

فكان المستجيبون لدعوة الإسلام نُزَّاعًا من القبائل، بل آحادًا منهم تغرَّبوا عن قبائلهم وعشائرهم، ودخلوا في الإسلام، فكانوا هم الغرباء حقًّا، حتى ظهر الإسلام وانتشرت دعوته، ودخل الناس فيه أفواجًا، فزالت تلك الغُربة عنهم، ثم أخذ في الاغتراب والترحُّل، حتى عاد غريبًا كما بدأ، بل الإسلام الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه هو اليوم أشدُّ غربة منه في أول ظهوره، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة، فالإسلام الحقيقي غريب جدًّا، وأهله غرباء أشدُّ الغربة بين الناس.

وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدًّا غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة، ذات أتباع ورئاسات ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوق إلَّا بمخالفة ما جاء به الرسول ﷺ؟ فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم، وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم، والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم؟

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريبًا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم، وأطاعوا شُحَّهم، وأُعجب كل منهم برأيه؟ كما قال النبي ﷺ: «**مُروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شُحًّا مُطاعًا، وهوًى مُتَّبعًا، ودُنيا مُؤثرة، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه، ورأيت أمرًا لا بُدَّ لك به، فعليك بخاصَّة نفسك، وإياك وعوامهم، فإنَّ وراءكم أيامًا صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر**».

ولهذا جعل للمسلم الصادق في هذا الوقت إذا تمسك بدينه: أجر خمسين من الصحابة رضي الله عنهم... وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس، والتمسك بالسُّنة بين ظُلمات أهوائهم وآرائهم.

فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه، وفقهًا في سُنة رسوله، وفهمًا في كتابه، وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع والضلالات وتنكُّبهم عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط؛ فليوطِّن نفسه على قَدْحِ الجهال وأهل البدع فيه، وطعنهم =

٣ ـ **قال** أبو بكر محمد بن الحسين: أنشدني عبد الله بن حُميد أبو بكر المُؤدِّب في معنى هذا الحديث:

بَدا الإسلامُ حين بدَا غَريبًا   وكيف بدَا يعودُ على الدلائل
فطُوبى فيه للغُرباءِ طوبى   لجمع الآخرين وللأوائل
كما قال الرسول فقيل: من هم؟   فقال: النَّازِعون مِن القبائل

٤ ـ **وأخبرنا** محمد، قال: ثنا أبو أحمد هارون بن يوسف التاجر، قال: ثنا محمد بن أبي عمر[1] العدني، قال: ثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعودُ كما بدأ غريبًا فطُوبى للغُرباء»**[2].

٥ ـ **أخبرنا** محمد، قال: حدثني أبو حفص عمر بن أيوب السقطي، قال: ثنا محمد بن الصباح الجَرْجَرائي، قال: ثنا كثير بن مروان، عن عبد الله بن يزيد الدمشقي، قال:

= عليه، وإزرائهم به، وتنفير الناس عنه، وتحذيرهم منه، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ، فأما إن دعاهم إلى ذلك، وقدح فيما هم عليه: فهنالك تقوم قيامتهم، ويبغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورَجْلِه.

فهو غريبٌ في دينه لفساد أديانهم، غريبٌ في تمسُّكه بالسُّنة لتمسُّكهم بالبدع، غريبٌ في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريبٌ في صلاته لسوء صلاتهم، غريبٌ في طريقه لضلال وفساد طرقهم، غريبٌ في نسبته لمخالفة نسبهم، غريبُ في معاشرته لهم؛ لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة: فهو غريبٌ في أمور دنياه وآخرتِه لا يجد من العامة مساعدًا ولا مُعينًا، فهو عالم بين جُهَّال، صاحب سُنة بين أهل بدع، داعٍ إلى الله ورسوله بين دعاةٍ إلى الأهواء والبدع، آمر بالمعروف، ناهٍ عن المنكر بين قومٍ المعروف لديهم منكر، والمنكر معروف. اهـ.

(١) في الأصل: (عمرو)، والصواب ما أثبته، وقد تكرر كثيرًا في كتب الآجري رحمه الله.

(٢) رواه مسلم (١٤٥).

أخبرني أبو الدرداء، وأبو أمامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك رضي الله عنهم، قالوا: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء**»[(١)].

٦ ـ **أخبرنا** محمد، قال: حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: حدثنا الحسين بن الحسن المَروزي، قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: أخبرنا ابن لهيعة، قال: حدثني الحارث بن يزيد، عن جندب بن عبد الله، أنه سمع سفيان بن عوف الثمالي، يقول: سمعت عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ [٥٠/أ] ذات يوم ونحن عنده: «**طوبى للغُرباء**».

قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟

قال: «**أناسٌ صالحون قليل، في ناسِ سوء كثير، من يَعصيهم أكثرُ ممن يُطيعهم**»[(٢)].

٧ ـ **أخبرنا** محمد، قال: ثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا هارون بن عبد الله، قال: ثنا سيار بن حاتم، قال: ثنا جعفر بن سليمان، قال: ثنا أبو كعب الأزدي، قال: سمعت الحسن يقول: المؤمن في الدنيا كالغريب؛ لا يجزع من ذُلِّها، ولا يُنافس في عِزِّها، للناس حالٌ وله حال.

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٥٦٦)، وزاد فيه: قالوا: يا رسول الله، ومن الغُرباء؟

قال: «**الذين يَصلحون إذا فسدَ الناس، لا يُمارون في دينِ الله، ولا يُكَفِّرون أهلَ القبلةِ بذنبٍ**».

وفي إسناده: عبد الله بن يزيد، قال أحمد: أحاديثه موضوعة. «المغني في الضعفاء» (٣٤٢٥).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٧٧٥)، وأحمد (٦٦٥٠) بأطول من هذا.

وفي إسناده: ابن لهيعة وهو ضعيف، إلا أن بعض أهل العلم قبل رواية ابن المبارك وغيره عنه.

٨ ـ **قال**: أخبرنا محمد بن الحسين، قال: أنشدني أبو بكر عبد الله بن حُميد المؤدِّب ـ أيضًا ـ في ذلك:

وترى المؤمنَ في الدنـ ـيا غريبًا مُستفِزًّا[1]
فهو لا يَجزعُ من ذُلٍّ ولا يَطلبُ عِزًّا
وتراهُ من جميعِ الـ ـخلق خِلوًا مُشمئِزًا[2]
ثم بالطاعةِ ما عا شَ وبالخيرِ مُلِزًّا[3]

قال محمد بن الحسين:

٩ ـ فإن قال قائل:

ما معنى قول النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعودُ كما بدأ**»؟

قيل له:

كان الناس قبل أن يُبعثَ النبيُّ ﷺ أهل أديان مختلفة: يهودٌ، ونصارى، ومجوسٌ، وعَبدة أوثان، فلما بُعِثَ النبي ﷺ كان من أسلم من كل طبقة منهم غريبًا في حيِّه، غريبًا في قبيلته، مُستخفيًا بإسلامه، قد جفاه الأهل والعشيرة، فهو بينهم ذليلٌ حقير، محتمل للجفاء، صابرٌ على الأذى، حتى أعزَّ الله عَزَّوَجَلَّ الإسلام، وكَثُرَ أنصاره، وعلا أهل الحق، وانقمع أهل الباطل، فكان الإسلام في ابتدائه غريبًا بهذا المعنى.

وقوله ﷺ: «**وسيعودُ غريبًا**» [٥٠/ب] معناه ـ والله أعلم ـ:

أن الأهواء المُضلَّة تكثُر فيضل بها كثير من الناس، ويبقى أهل الحق الذين هم على شريعة الإسلام غُرباء في الناس لقلَّتهم.

---

(١) استَفَزَّ: استخف.
(٢) المُشمَئِزُّ: النافر الكاره للشيء.
(٣) لزَّه لزًّا ولززًا: شدَّه وألصقه. نقلاً من المطبوع (ص٣٠).

ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ: «تفترقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً، كلها في النار إلَّا واحدة».

فقيل: من هي الناجية؟

فقال: «ما أنا عليه وأصحابي»(١).

وبقوله ﷺ: «مُروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعًا، وهوًى مُتَّبعًا، ودنيا مُؤثرة، وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه، ورأيت أمرًا لا يَدٌ لك به؛ فعليك بخاصَّة نفسك، وإياك وعوامهم، فإن فيهم أيام الصبر، الصبرُ فيهن كقبضٍ على الجَمْر»(٢).

فهذه صفةٌ من صفاتِ الغريب الصابر على دينه حتى يَسلمَ مِن الأهواء المُضِلَّة(٣).

---

(١) رواه المُصنِّف في «الأربعين»، الحديث: (الثالث عشر)، و«الشريعة» (٢٨)، وبوب له فقال: (٣/ باب ذكر افتراق الأُمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأُمة؟)، وفيه قال: سُئل ﷺ: من الناجية؟ فقال في حديث: «ما أنا عليها وأصحابي».
وفي حديثٍ قال: «السَّواد الأعظم».
وفي حديثٍ قال: «واحدة في الجنة، وهي الجماعة».
قلت أنا: ومعانيها واحدة إن شاء الله تعالى. اهـ.
ورواه الترمذي (٢٦٤١) من طريق سفيان الثوري، عن عبد الرحمٰن بن زياد الأفريقي، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
وقال: هذا حديث مفسَّرٌ غريبٌ لا نعرفه مثل هذا إلَّا من هذا الوجه. اهـ.
وانظر التعليق على هذا الحديث في «الأربعين».

(٢) رواه الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢٩٥) من طريق المصنف. ورواه الترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) قال الطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ١٧٢) بعد روايته لبعض أحاديث الغرباء: فتأمَّلنا هذه الآثار، فوجدنا الإسلام دخلَ على أشياءَ ليست من أشكالِه، فكان بذلك معها غريبًا لا يُعرَفُ، كما يقال لمن نزلَ على قوم لا يعرفونه: إنه غريبٌ بينهم، ثم أخبر رسول الله ﷺ أنه يعودُ كذلك، فيكون منْ نزعَ عن ما عليه الخَلْقُ =

= المذمومة إلى ما كانت عليه الخَلَّة المحمودة غريبًا بينهم. ومن ذلك ما قد رُوي عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما. . . قال: (ليأتينَّ على الناس زمانٌ يجتمعون في المساجد، وليس فيهم مؤمن). [إسناده صحيح].

قال أبو جعفر: ونعوذ بالله من ذلك الزمان.اهـ.

- قال ابن رجب رحمه الله في «كشف الكُربة في وصف أهل الغربة» (ص٣١٧): توفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، وأهل الإسلام على غاية من الاستقامة في دينهم، وهم متعاضدون متناصرون، وكانوا على ذلك في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ثم أعمل الشيطان مكائده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم، وأفشى بينهم فتنة الشبهات والشهوات، ولم تزل هاتان الفتنتان تتزايدان شيئًا فشيئًا حتى استحكمت مكيدة الشيطان، وأطاعه أكثر الخلق، فمنهم من دخل في طاعته في فتنة الشبهات، ومنهم من دخل في فتنة الشهوات، ومنهم من جمع بينهما، وكل ذلك مما أخبر النبي ﷺ بوقوعه.

فأما فتنة الشُّبهات: فقد روي عن النبي ﷺ من غير وجهٍ أن أُمته ستفترق على أزيد من سبعين فرقة على اختلاف في الروايات في عدد الزيادات على السبعين، وأن جميع تلك الفرق في النار إلَّا فرقة واحدة، وهي ما كانت على ما هو عليه وأصحابه ﷺ.

وأما فتنة الشَّهوات: ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم. أي قوم أنتم؟**».

قال عبد الرحمٰن بن عوف: نقول كما أمرنا الله.

قال: «**أو غير ذلك؟ تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون**».

وفي صحيح البخاري عن عَمرو بن عوف رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**». . . وكان النبي ﷺ يخشى على أُمته هاتين الفتنتين. . . فلما دخل أكثر الناس في هاتين الفتنتين أو إحداهما أصبحوا متقاطعين مُتباغضين بعد أن كانوا إخوانًا مُتحابِّين متواصلين، فإن فتنة الشهوات عمت غالب الخلق ففتنوا بالدنيا وزهرتها وصارت غاية قصدهم، لها يطلبون، وبها يرضون، ولها يغضبون، ولها يوالون، وعليها يعادون، فقطَّعوا لذلك أرحامهم، وسفكوا دماءهم، وارتكبوا معاصي الله بسبب ذلك. =

= وأما فتنة الشُّبهات والأهواء المُضلَّة: فبسببها تفرق أهل القبلة وصاروا شيعًا، وكفَّر بعضهم بعضًا، وأصبحوا أعداءً وفرقًا وأحزابًا بعد أن كانوا إخوانًا قلوبهم على قلب رجل واحد، فلم ينج من هذه الفرق إلَّا الفرقة الواحدة الناجية، وهم المذكورون في قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». وهم في آخرِ الزمان الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»، وهم «الذين يُصلحون ما أفسد الناس من السُّنة»، وهم «الذين يفرون بدينهم من الفتن»، و«هم النزاع من القبائل»؛ لأنهم قلُّوا فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلَّا الواحد والاثنان، وقد لا يوجد في بعض القبائل منهم أحدٌ كما كان الداخلون إلى الإسلام في أول الأمر كذلك، وبهذا فسَّر الأئمة هذا الحديث.

قال الأوزاعي في قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»: أمَا إنه ما يذهب الإسلام؛ ولكن يذهب أهل السُّنة حتى ما يبقى في البلد منهم إلَّا رجلٌ واحد.

ولهذا المعنى يوجد في كلام السلف كثيرًا مدح السُّنة، ووصفها بالغربة، ووصف أهلها بالقِلَّة، فكان الحسن رحمه الله يقول لأصحابه: يا أهل السُّنة ترفقوا ـ رحمكم الله ـ فإنكم من أقلِّ الناس.

وقال يُونس بن عُبيد: ليس شيء أغرب من السُّنة، وأغرب منها من يُعرِّفها.

ورُوي عنه أنه قال: أصبح من إذا عرف السُّنة فعرفها غريبًا، وأغرب منه من يُعرِّفها.

وعن سُفيان الثوري قال: استوصوا بأهل السُّنة فإنهم غُرباء.

ومراد هؤلاء الأئمة بالسُّنة: طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السَّالمة من الشبهات والشهوات.

ولهذا كان الفُضيل بن عياض يقول: أهل السُّنة من عرف ما يدخل في بطنه من حلال.

وذلك لأن أكل الحلال من أعظم خصال السُّنة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ثم صار في عرف كثير من العلماء المُتأخِّرين من أهل الحديث وغيرهم =

١٠ ـ من صفة الغُرباء أيضًا التي نُعِتَ بها أهلُ الحقِّ:

أن يكون الغالبُ على الناس في جميع أمورهم، مثل: مؤاخاةِ الإخوان، وصُحبةِ الأصحاب، ومُجاورةِ الجيران، وصِلةِ الأرحام، وعيادةِ المَرضى، وشهودِ الجنائز، وما يجري عليهم من المصائب، وما يُسرّون به من الأفراح بالدنيا، والمُتاجرةِ، والمُعاملةِ، والمَحبَّةِ، والبغْضةِ، والمآزرةِ، والمُلاقاة، والمُجالسة، والاجتماع في الولائم، وأشباهٍ لهذه الأمور، فإن جميع ذلك يجري بينهم على خلاف الكتاب والسُّنة لغلبة الجهل عليهم، ولدروسِ العلم فيهم.

فإذا أراد المؤمنُ العاقلُ الذي قد فقَّهه الله عَزَّوَجَلَّ في الدين، وبصَّرَه عيوب نفسِه، وقُبْحَ ما الناس عليه، ورزقه معرفةً بالتمييز بين الحقِّ [٥١/أ]

= السُّنة عبارة عما سَلِمَ من الشبهات في الاعتقادات خاصَّة في مسائل: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر، وفضائل الصحابة رضي الله عنهم، وصنفوا في هذا العلم باسم السُّنة؛ لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا هلكة.

وأما السُّنة الكاملة؛ فهي الطريق السَّالمة من الشُّبهات والشَّهوات، كما قال الحسن، ويونس بن عُبيد، وسُفيان، والفُضيل وغيرهم، ولهذا وُصِفَ أهلُها بالغُربةِ في آخرِ الزمان لقلتهم وغربتهم فيه، ولهذا ورد في بعض الروايات كما سبق في تفسير الغرباء: «قومٌ صالحون قليل في قوم سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»، وفي هذا إشارة إلى قِلَّة عددهم، وقِلَّة المستجيبين لهم، والقابلين منهم، وكثرة المخالفين لهم، والعاصين لهم.

ولهذا جاء في أحاديث متعدِّدة مدح المُتمسِّك بدينه في آخر الزمان وأنه كالقابض على الجمر، وأن للعامل منهم أجرُ خمسين ممن قبلهم؛ لأنهم لا يجدون أعوانًا في الخير.

وهؤلاء الغرباء قسمان:

أحدهما: من يُصلح نفسه عند فساد الناس.

والثاني: من يُصلح ما أفسد الناس، وهو أعلى القسمين وهو أفضلهما. اهـ.

والباطل، وبين الحسن والقبيح، وبين الضارِّ والنافع، وعلم ما له مما عليه، فإذا ألزم نفسه العمل بالحقِّ بين ظهراني من قد جهل الحقَّ، بل الغالب عليهم اتباع الهوى، لا يُبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم، فإذا نظروا إلى من يخالفهم على طريقتهم ثَقُلَ ذلك عليهم؛ فمقتوه، وخالفوه، وطلبوا له العيوب، فأهله به مُتضجِّرون، وإخوانه به مُتثقِّلون، ومعاملوه[1] به غير راغبين في معاملتِهِ، وأهلُ الأهواء له على مذهبِ الحقِّ مخالفون[2]، فصارَ غريبًا في دينه لفساد دين أكثر الخلق، غريبًا في معاملته لكثرة فساد معاش أكثر الخلق، غريبًا في مؤاخاتِهِ وصُحبته لكثرة فساد صُحبة الناس ومؤاخاتهم، غريبًا في جميع أمور الدنيا والآخرة، لا يجدُ على ذلك مساعدًا يفرحُ به، ولا مؤانسًا يسكنُ إليه، فمثل هذا غريب مستوحش؛ لأنه صالحٌ بين فُسَّاق، وعالمٌ بين جُهَّالٍ، وحليم بين سُفهاء، يصبح حزينًا، [ويُمسي حزينًا]، كثيرٌ غمُّه، قليلٌ فرحُه، كأنه مسجونٌ، كثيرُ البكاء، كالغريب الذي لا يُعرف، ولا يأنس به أحدٌ، يستوحشُ منه من لا يعرفُه، فهذا معنى قوله ﷺ: «**وسيعودُ غريبًا كما بدأ**»، والله أعلم[3].

---

(١) في الأصل: (ومعامليه).

(٢) في الأصل: (على غير مذهب الحق).

(٣) في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٢٧) قال إبراهيم الحربي رحمه الله لجماعة عنده: من تعدُّون الغريب في زمانكم هذا؟

فقال واحدٌ منهم: الغريب: من نأى عن وطنه.

وقال آخر: الغريبُ: من فارق أحبابه.

وقال كل واحدٍ منهم شيئًا، فقال إبراهيم: الغريبُ في زماننا: رجلٌ صالحٌ، عاش بين قوم صالحين، إن أمر بالمعروفِ آزروه، وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى سببٍ من الدنيا مانوه، ثم ماتوا وتركوه. اهـ.

- وروى ابن وضاح رحمه الله في «البدع» (٩٧) بإسناده عن عبد الله بن المبارك =

= (١٨١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ قال: اعلم ـ أني أرى ـ أن الموت اليوم كرامةٌ لكلِّ مسلم لقي الله على السُّنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان، وقِلَّة الأعوانِ، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حَلَّ بهذه الأُمّة من ذهابِ العلماء وأهل السُّنة، وظُهور البِدع. اهـ.

ـ وكتب سفيان الثوري (١٦١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة إلى عباد بن عباد رَحِمَهُ اللَّهُ، قال فيها: أما بعد؛ فإني أُوصيك بتقوى الله، فإن اتقيت الله عَزَّ وَجَلَّ كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئًا، سألتَ أن اكتب إليك كتابًا أصفُ لك فيه خِلالًا تصحب بها أهل زمانك، وتؤدِّي إليهم ما يحقّ لهم عليك، وتسأل الله عَزَّ وَجَلَّ الذي لك، وقد سألت عن أمرٍ جسيم، الناظرون فيه اليوم المقيمون به قليل، بل لا أعلم مكان أحدٍ، وكيف يستطاع ذلك؟! وقد كدر هذا الزمان، أنه ليشتبه الحق والباطل، ولا ينجو من شرِّه إلَّا من دعا بدعاء الغريق.

فهل تعلم مكان أحدٍ هكذا؟

وكان يقال: يوشك أن يأتي على الناس زمانٌ لا تقرّ فيه عين حكيم.

فعليك بتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ والزم العُزلة، واشتغل بنفسك، واستأنس بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، واحذر الأُمراء، وعليك بالفقراء، والمساكين، والدنو منهم، فإن استطعت أن تأمر بخيرٍ في رفقٍ، فإن قُبِلَ منك حمِدت الله عَزَّ وَجَلَّ، وإن رُدَّ عليك أقبلت على نفسك، فإن لك فيها شغلًا . . .

وبلغني أن أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يتعوَّذون أن يدركوا هذا الزمان، وكان لهم من العلم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركنا على قلَّة علم، وبصرٍ، وقلّة صبر، وقلّة أعوان على الخيرِ، مع كدر من الزمان، وفساد من الناس، وعليك بالأمر الأول، والتمسك به، وعليك بالخمول، فإن هذا زمان خمول، وعليك بالعُزلة، وقلَّة مُخالطة الناس. . . إلخ.

نقلًا من «الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر» (ص١٢٦).

ـ وقال أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) في «صفات الغرباء»: وقد صار المتمسِّكون في زماننا بالسمت الأهدى، والحظّ الأوفى أغرب الغرباء، وأبعد البُعداء؛ لأن الناس أصبحوا على طبقات ثلاث؛ منتحل بالعلم يسوق به، اتخذ العلم مكسبًا ينحط في الأهواء جامعًا بذلك الأسواء والأدواء. =

قال محمد بن الحسين:

١١ ـ فلو تشهدُه في الخلواتِ يبكي بحُرقةٍ، ويئنُّ بزفرةٍ، ودموعه تسيل بعبرةٍ، فلو رأيتَه وأنت لا تعرفُه لظننت أنه ثكلى(١) قد أُصيب بمحبوبِه، وليس كما ظننت، وإنما هو خائف على دينه أن يُصابَ به، لا يُبالي بذهابِ دنياه إذا سَلِمَ له دينه، قد جعل رأسَ ماله دينَه، يخاف [٥١/ب] عليه الخسران، كما قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: رأسُ مالِ المؤمنِ دينُه، حيث ما زالَ زالَ معه، لا يُخلِّفُه في الرِّحَالِ، ولا يأتمِنُ عليه الرِّجَال(٢).

= وآخرُ: مرتكسًا في ضلالته، منتكسًا في بدعته، أصبح إليها داعيًا، وعن قبول الحقِّ ناهيًا، لا يرى الحق إلا في وفاقه، ولا الباطل إلَّا في خلافه وشقاقه.

وثالث: بجهله راضيًا لاهيًا، وعن حظِّه ماضيًا ساهيًا، وبالتكاثر لهِجًا، وبالتفاخر بهجًا، لا يعرف معروفًا، ولا يُعين ملهوفًا، رُخصت عليهم أديانهم، فخفَّت من الأعمال ميزانهم، وسقطت عن المحقّقين أوزانهم، فهم كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (همجٌ رَعاع، أتباع كل ناعق)، يرقصون مع كل زاعق، وينساقون لكل سائق، إذا دارت رَحَا الظالمين والجبارين؛ صالوا بصولتهم، وإذا أقبلت راية المُضلِّين المُبطلين؛ مالوا إلى ضلاتهم، فدينهم التحول والانتقال، ودنياهم التطاول والاعتدال، وكيف لا يعزُّ المُحققون وهم من بين الناس مقدَّمون، وعن مصاحبة الأشرار يميّزون، وبالأخيار منهم يرحلون.

انتهى من كتاب «النهي عن الرقص والسماع» للدشتي (١/ ٢٣٩).

(١) الثُّكْلُ: فقدان الحبيب، وأكثر ما يستعمل في فقدان المرأة ولدها. «الصحاح» (٥/ ٣٤٩).

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «كشف الكُربة» (ص٣١): ومن كلام أحمد بن عاصم الأنطاكي ـ وكان من كبار العارفين في زمان أبي سليمان الداراني ـ: إني أدركت من الأزمنة زمانًا عاد فيه الإسلام غريبًا كما بدأ، وعاد وصفُ الحق فيه غريبًا كما بدأ، إن ترغبَ فيه إلى عالم وجدته مفتونًا بُحبِّ الدنيا، يُحبُّ =

= التعظيم والرئاسة، وإن ترغب فيه إلى عابدٍ وجدته جاهلًا في عبادته مخدوعًا صريعًا غدره إبليس، وقد صعدَ به إلى أعلى درجةٍ من العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها؟ وسائر ذلك من الرَّعاع، همج عوج وذئاب مختلسة، وسباع ضارية، وثعالب ضوار، هذا وصف عيون أهل زمانك من حملة العلم والقرآن ودعاة الحكمة. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٨٦).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذا وصف أهل زمانه! فكيف بما حدث بعده من العظائم والدواهي التي لم تخطر بباله ولم تدر في خياله؟!. اهـ.

- قال ابن بطة (٣٨٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (رقم/ ٧٦١): فلو أن رجلًا عاقلًا أمعن النظر اليوم في الإسلام وأهله لعلم أن أمور الناس تمضي كلها على سَنن أهل الكتابين وطريقتهم، وعلى سُنَّة كِسرى وقيصر، وعلى ما كانت عليه الجاهلية، فما طبقة من الناس وما صِنفٌ منهم إلَّا وهم في سائر أمورهم مخالفون لشرائع الإسلام، وسُنَّة الرسول ﷺ مضاهون فيما يفعل أهل الكتابين والجاهلية قبلهم، فإن صرف بصرَه إلى السَّلطنة وأهلها وحاشيتها، ومن لاذَ بها من حُكَّامهم وعُمَّالهم وجد الأمر كله فيهم بالضدِّ مما أمروا به، ونصبوا له في أفعالهم وأحكامهم وزيِّهم ولباسهم، وكذلك في سائرِ الناس بعدهم من التُّجار والسُّوقة، وأبناء الدنيا وطالبيها من الزُّرّاع، والصُّنّاع، والأُجراء، والفقراء والقُرَّاء، والعلماء إلَّا من عصمه الله.

ومتى فكَّرت في ذلك وجدت الأمر كما أخبرتُك من المصائب والأفراح، وفي الزَّي واللباس، والآنية والأبنية، والمساكن والخُدَّام، والمراكب والولائم والأعراس، والمجالس والفرش، والمآكل والمشارب، وكل ذلك فيجري خلافَ الكتاب والسُّنة بالضِّدِّ مما أُمر به المسلمون، ونُدِبَ إليه المؤمنون، وكذلك من باع واشترى، وملك واقتنى، واستأجر وزرع وزارع.

فمن طلب السَّلامة لدينه في وقتنا هذا مع الناس: عَدِمَها، ومن أحبَّ أن يلتمس معيشة على حكم الكتاب والسُّنة: فقدها؛ وكثُرَ خصماؤه، وأعداؤه، ومخالفوه، ومبغضوه فيها. والله المُستعان.

فما أشدَّ تعذُّر السَّلامة في الدين في هذا الزمان! فطرقات الحقِّ خالية مُقفرة موحشة قد عُدِم سالكوها، واندفنت محاجُّها، وتهدَّمت صواياها وأعلامها، وفُقِد أدِلّاؤها وهُداتُها، قد وقفت شياطين الإنس والجنِّ على =

= فجاجها وسبلها تتخطّف الناس عنها، والله المُستعان.

فليس يعرفُ هذا الأمر ويَهُمُّه إلَّا رجلٌ عاقل مُميز، قد أدَّبه العلم، وشرح الله صدره بالإيمان.

عن يزيد بن خُمير الرّحبي، قال: سألت عبد الله بن بُسر ـ رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ ـ: كيف حالنا من حال من كان قبلنا؟

قال: سبحان الله! لو نُشِروا من القبور ما عرفوكم إلَّا أن يجدوكم قيامًا تُصلُّون.

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما من شيءٍ كنت أعرفه على عهد رسول الله ﷺ إلَّا قد أصبحت له مُنكرًا، إلَّا أني أرى شهادتُكم هذه ثابتة.

قال: فقيل: يا أبا حمزة، فالصلاة؟!

قال: قد فُعل فيها ما رأيتم.

وعن أُمِّ الدرداء رضي الله عنها، قالت: دخل أبو الدرداء رضي الله عنه وهو غضبان، قلت له: ما أغضبك؟

قال: والله ما أعرف فيهم من أمرِ محمدٍ ﷺ إلَّا أنهم يُصلُّون جميعًا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يتمثَّلُ بهذا البيت:

فما الناسُ بالناسِ الذين عهدتهم ... ولا الدَّارُ بالدَّارِ التي كُنتَ تَعرِفُ

قال ابن بطة: هذا يا إخواني ـ رحمنا الله وإياكم ـ قول أصحاب رسول الله ﷺ عبدِ الله بن بُسرٍ، وأنسِ بن مالك، وأبي الدرداء، وابن عباس رضي الله عنهم، ومن تركت أكثر ممن ذكرت.

فيا ليت شعري! كيف حال المؤمن في هذا الزمان؟! وأيُّ عيشٍ له مع أهله، وهو لو عادَ عليلًا لعاين عنده وفي منزله وما أعدَّه هو وأهله للعلّة والمرض من صنوف البدع، ومخالفة السُّنن، والمضاهاة للفرس والروم وأهل الجاهلية ما لا يجوز له معه عيادة المرضى.

وكذلك إن شَهِدَ جنازة، وكذلك إن شَهِدَ إملاك رجلٍ مسلم، وكذلك إن شَهِدَ له وليمة، وكذلك إن خرج يريدُ الحجَّ عاين في هذه المواطن ما يُنكره ويُكربه ويسوؤه في نفسه وفي المسلمين ويغمّه.

فإذا كانت مَطالِب الحقِّ قد صارت بواطل، ومحاسن المسلمين قد صارت مقابح، فماذا عسى أن تكون أفعالهم في الأمور التي نطوي عن ذكرها؟! =

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

وللغريبِ أوصافٌ كثيرةٌ، قد ذكرتُ منها ما يُكتفى به عن الكثيرِ من القول.

١٢ ـ أخبرنا محمد، قال: أنشدني إبراهيم بن محمد لبعض الحُكماء في معنى سَيْرِ الغريب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وحده:

الطُّرْق شتَّى [و]طريق[1] الحقِّ مُنفرِدٌ ... والسالكون طريقَ الحقِّ أفرادُ
لا يطلبون ولا تُطلب مساعيهم ... فهم على مَهَلٍ يمشون قُصَّاد
والناسُ في غفلةٍ عمَّا له قصدوا ... فجُلُّهم عن طريق الحقِّ رُقَّاد

١٣ ـ أخبرنا محمد، قال: أنشدني أبو علي الحسن بن القاسم، قال: أنشدني أبو علي الرقي في بُكاء الغريب على نفسه:

نَسَجتُ من الأحزانِ شِعرًا فقلتُهُ ... لأني غريبٌ والغريبُ حَزِينُ
وليَّنَنِي دَهري فلو كنتُ جَلمَدًا[2] ... لَلِنْتُ وكُلٌّ للبلاءِ يَلينُ
فلا تَعجبوا من أنَّةٍ بعد زَفرةٍ ... لكلِّ غريبٍ في الظلامِ أَنِينُ

= إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم مصائب المسلمين في الدِّين، وأقلَّ في ذلك المُفكِّرين.

أنشدني شيخٌ من أهل العلم بالبصرة في جامعها:

الطُّرْقُ شَتَّى وطُرْقُ الحَقِّ مُفْرَدَةٌ ... والسَّالِكُونَ طَرِيقَ الحَقِّ آحادُ
لا يُطلبون ولا تُبْغَى مَآثرهم ... فهم على مَهلٍ يمشون قُصَّادُ
والنَّاسُ في غَفْلةٍ عمَّا يُرادُ بهم ... فَكُلّهُم عَنْ طريقِ الحَقِّ حُوّادُ

عمَّ الناسَ يا إخواني البلاءُ، وانغلقت طرق السَّلامة والنجاء، ومات العلماء والنُّصحاء، وفُقِدَ الأُمناء، وصار الناس داءً ليس يبرئه الدواء.اهـ.

(١) كذا في الأصل، وهو منكسر ولعل الصواب ما في رواية ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في التعليق السابق.

(٢) في «الصحاح» (٢/ ٤٥٩): الجَلْمَدُ والجُلمود: الصخرُ.

قال محمد بن الحسين:

١٤ ـ رأيتُ منذُ سنين كثيرة مع عجوز جوربين أبيضين، أخبرتني أن شابًّا من أهل دمشق محبوسٌ في المُطبَق(١) مظلوم، وأنه نسجَ على خصريهما بيتين من الشِّعر في الغُرباء؛

على الأول:

غريبٌ يُقاسي الهمَّ في أرضِ غُربةٍ فيا ربِّ قرِّب دارَ كلِّ غَريبِ

وعلى الثاني:

أنا الغريبُ فلا أُلامُ على البُكا إن البُكا حَسَنٌ بكلِّ غريبِ

١٥ ـ [٥٢/أ] أخبرنا محمد، قال: أنشدني أبو الحسن محمد بن جعفر الرَّازي(٢) لبعض الحُكماء:

إن الغريبَ له استكانةُ مُذنبٍ وخضوعُ مَديونٍ وذُلّ مُريبِ
إن الغَريبَ وإن أقامَ بِبلدةٍ يُجبى إليه خَراجُها لغريبُ

(١) في «المعجم الوسيط» (٢/ ٥٥١): المطبق: السجن تحت الأرض.
(٢) وفي «طبعة دار ابن القيم» (ص٣٥): (أبو الحسين مُحرز بن جعفر الرازي).

٢ ـ بَاب

الحث على بلوغ مراتب الغرباء

١٦ ـ **أخبرنا** محمد، قال: أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، قال: أخبرنا أبو بكر بن عفان الصوفي، قال: أخبرنا فضيل بن عياض، عن ليث بن أبي سُليم، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي، فقال لي: **«يا ابن عُمر، كن في الدنيا كأنكَ غريبٌ، أو عابرُ سبيلٍ، وعُدَّ نفسكَ من أهل القبور»**(١).

١٧ ـ **أخبرنا** محمد، قال: وحدثنا الفريابي، قال: ثنا محمد بن الحسن البلخي، قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا سفيان الثوري، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي، فقال: **«كن في الدنيا كأنكَ غريبٌ، أو عابرُ سبيلٍ، وعُدَّ نفسكَ من أهلِ القبور»**.

وقال ابن عمر: فإذا أصبحت فلا تُحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تُحدِّث نفسكَ بالصباح، وخُذ من صحَّتك قبل سَقَمِك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمُك غدًا(٢).

١٨ ـ **أخبرنا** محمد، قال: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: ثنا ابن أبي بَزَّة مؤذن المسجد الحرام، قال: حدثنا مالك بن سُعير، قال: حدثنا

---

(١) رواه أحمد (٥٠٠٢)، وابن ماجه (٤١١٤)، والحديث صحيح دون قوله: **«وعُدَّ نفسكَ مِن أهلِ القبور»**، فمختلف فيها.

(٢) رواه أحمد (٤٧٦٤)، والترمذي (٢٣٣٣).

الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ بعضلة ساقي، أو قال: ببعض جسدي، وقال: «**يا عبدَ الله، كُن في الدنيا كأنك** [٥٢/ب] **غريبٌ، وعُدَّ نفسكَ من أهل القبور**».

قال مجاهد: وقال لي عبد الله: يا مجاهد، فإذا أمسيت فلا تُحدِّث نفسك بالصباح، وإذا أصبحت فلا تُحدِّث نفسك بالمساءِ، وخذ من دنياك لآخرتك[1].

١٩ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجويه القطان، قال: ثنا إبراهيم بن الوليد الطبراني القُرشي، قال: ثنا محمد بن يوسف، قال: ثنا الأوزاعي، عن عَبدة بن أبي لُبَابَةَ، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي، فقال لي: «**اعبُدِ الله كأنك تراه، وكن في الدنيا كأنك عابر سبيل**»[2].

٢٠ ـ أخبرنا محمد، قال: أنشدني أبو بكر عبد الله بن حُميد المؤدِّب:

أيها الغافلُ في ظلِّ نعيمٍ وسرور
كُن غريبًا واجعل الدنيا سبيلًا للعبورِ
واعددِ النفسَ طوالَ الدهرِ من أهلِ القبورِ
وارفضِ الدنيا ولا تركن إلى دارِ الغرورِ

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦) من طريق الأعمش، قال: حدثني مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل**».

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك.

(٢) رواه أحمد (٦١٥٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٨٠٣)، ولفظهما: «**.. وكن في الدنيا كأنك غريب، أو..**»، وإسناده صحيح.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١ ـ فإن قال قائل:

أيش يحتمل قول النبي ﷺ: «كُن في الدنيا كأنك غريبٌ، أو عابر سبيل؟».

قيل له ـ والله أعلم ـ:

هو الرجل الحاضر الذي قد أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليه، ورزقَه مالًا وولدًا سَرَّه بهما، وزوجة حسناء، ودارًا قوراء[1]، ولباسًا ناعِمًا، وطعامًا طيبًا، فبينا هو كذلك إذ عرضَ له سفرٌ لا بُدَّ له من الخروج فيه، فخرج؛ فطال به السفر، وفَقَدَ جميع ما كان يَلذُّ به، وصارَ غريبًا في بلدٍ لا يُعرف، فاستوحش من الغُربة لما قاسى فيها من الذلِّ والمسكنة، وحنَّ قلبُه إلى الرجوع إلى وطنه، فجدَّ في السيرِ، همُّه في مسيره [٥٣/أ] أن يقطعَ السفرَ بالتحرِّي، فطعامه اليسير مما فيه كفايته، ولباسه الحقير لما يستر به عورته، جُلّ ما يحمل معه جِرابهُ ورَكْوته[2]، يُكابدُ السهرَ ليقطعَ عنه شدَّة آلام السفر، وقلبُه مُتطلِّعٌ إلى ما يَلَذُّ به الحضر، مُحتملٌ للأذى، صابرٌ على البلوى، لا يُعرِّجُ في مسيره على شيءٍ من أمور الدنيا غير ما فيه بعض كفايته، قد لها[3] عن كلِّ شيءٍ له فيه لذَّة، ينام بالليل في الأوديةِ والشِّعاب، ويقيل بالنهارِ في فيافي الجبالِ والشجرِ على التراب، إذا مرَّ بما تهواه النفوس لا يُعرِّج عليه، يُحادثُ نفسه بالصبر عنه، يقول لها: حتى أبلُغَ مستقرِّي فأمنحُكِ ما تُحبِّين، إذا أجهدَه السيرُ يبكي بحُرقةٍ،

---

(١) في «تهذيب اللغة» (٩/ ٢١٢): دارٌ قَوْراء: وَاسِعَة الجَوْف. اهـ.

(٢) في «النهاية» (٢/ ٢٦١): (الرَّكْوَةُ): إناءٌ صغيرٌ من جلدٍ يُشرب فيه الماء، والجمعُ رِكَاءٌ. اهـ.
و(الجِراب): مثل الزنبيل. «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٤٨).

(٣) وفي المطبوع: (لهِيَ).

ويئنُّ بزَفرة، ويختنقُ بِعبْرَةٍ، لا يجفو على من جفا عليه، ولا يُؤاخذُ من آذاه، ولا يُبالي بمن جهله، قد هان عليه في غُربته جميع أمور الدنيا حتى يقطع السفر، ويَرِد الحضر.

فقيل لهذا المؤمنِ العاقلِ الذي يُريد الآخرةَ، ويَشْنأُ(١) الدنيا:

كُن في الدنيا مثلَ هذا الغريب، لا يُعرِّج إلَّا على ما قلَّ وكفى، وقد ترك ما كَثُر وألهى، فإنك إذا فعلت ذلك كنت غريبًا كعابرِ سبيلٍ حتى تَرِد الآخرة، وأنت مُخفٌّ من الدنيا، حينئذ تحمَدُ عواقبَ الصبرِ في جميع ما نالكَ مِن المشقَّة في سفرك، والله أعلم(٢).

(١) الشنآن: البغض والكراهية.

(٢) قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٧٦): هذا الحديث أصلٌ في قِصَرِ الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا، فيطمئن فيها؛ ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر: يهيئ جهازه للرحيل.

وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم... وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة، ولا وطنًا، فينبغي للمؤمن أن يكون حاله فيها على أحد حالين:

١ - إما أن يكون كأنه غريبٌ مقيمٌ في بلد غُربةٍ، همُّه التزود للرجوع إلى وطنه.

٢ - أو يكون كأنه مسافر غير مُقيم البتَّة، بل هو ليله ونهاره يسير إلى بلد الإقامة، فلهذا وصَّى النبي ﷺ ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن يكون في الدنيا على أحد هذين الحالين.

فأحدهما: أن يترك المؤمن نفسه كأنه غريبٌ في الدنيا يتخيَّلُ الإقامة، لكن في بلد غُربة، فهو غيرُ متعلِّقِ القلب ببلد الغربة، بل قلبه متعلقٌ بوطنه الذي يرجع إليه، وإنما هو مقيمٌ في الدنيا ليقضي مرمَّة جهازه إلى الرجوع إلى وطنه... ومن كان في الدنيا كذلك؛ فلا هَمَّ له إلَّا في التزوُّد بما ينفعُه عند عوده إلى وطنه، فلا يُنافس أهل البلد الذي هو غريبٌ بينهم في عِزِّهم، ولا يجزعُ من الذُّلِّ عندهم. ولبعض شيوخنا [وهو ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ]:

فحيَّ على جناتِ عدنٍ فإنها منازِلك الأولى وفيها المُخيّم =

٢٢ ـ أخبرنا محمد، قال: أنشدني أبو بكر محمد بن الجَهم المَالكي لبعض الحكماء:

فتًى كاسَ[(١)] فلم ياسَا[(٢)] ... على ما يُعطِبُ الناسا
ولكن جدَّ في السيرِ ... فما قَصَّرَ مُذْ كاسَا
وقومٌ جَمَّعوا الدنيا ... فصارَ القومُ حُرَّاسا
فلم يشغلْ بهم قلبًا ... ولم يرفعْ بهم راسَا
فتًى ألبسه اللهُ الـ ... ـغنى والعزَّ والباسا
فلم يفتحْ حانوتًا ... ولم يختمِ الاكياسا
ولم يَألفْ مَخلوقًا ... ولم يَطلبْ جُلَّاسا
ولكن جعلَ الذِّكر ... مع القرآنَ أُنَّاسا
له دَمعٌ يُنبِّيكَ ... عن القلبِ وما قَاسا
ويُشجيكَ[(٣)] إذا ما يُتـ ... ـبِعُ الأنفاسَ أنفاسا
تراه في الصَّحاري لجـ ... ـلالِ الله لَمَّاسا
ولو قيلَ له في قو ... ته: واسٍ به واسى

=
ولكننا سبي العدو فهل تُرى ... نعودُ إلى أوطاننا ونُسلِّم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى ... وشطَّت به أوطانُه فهو مُغرَم
وأيُّ اغترابٌ فوق غُربتنا التي ... لها أضحتِ الأعداءُ فينا تحكَّم

الحال الثاني: أن يُنزِلَ المؤمنُ نفسَه في الدنيا كأنه مسافرٌ غير مقيم البتَّة، وإنما هو سائر في قطع منازل السفر حتى ينتهي به السفر إلى آخره، وهو الموت. ومن كانت هذه حاله في الدنيا، فهمَّتُه تحصيل الزاد للسفر، وليس له همَّةٌ في الاستكثار من متاع الدنيا، ولهذا أوصى النبي ﷺ جماعة من أصحابه أن يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب. اهـ.

(١) كاس: عَقِل، من الكيس وهو الفطنة والعقل.
(٢) في الأصل: (يأنس).
(٣) شجاه الهم شجوًا: أهمه وأحزنه. «العين» (٦/١٥٦).

غـــدًا يـــخـــرجُ مـــن أبـــيـضِ خـلـقِ الله قِـرطـاسـا
إذا مـــا قـــيـــل لـــلأبـــرار: قـومـوا فـاشـربـوا الـكـاسـا
مـــضـــى يَـــخـــتـــرقُ الـــوِرد إلـــى الأتـــرابِ والآسَـــا
فـقـد صـارت مَـواتـيـم[1] مُـحـبِّ الله أعـراسَـا

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

٢٣ ـ من أحبَّ أن يَبلُغَ مَراتبَ الغرباء؛ فليصبر على جفاء أبويه، وزوجته، وإخوانه، وقرابته.

٢٤ ـ فإن قال قائل:

فلِمَ يجفوني وأنا لهم حبيبٌ، وغمُّهم لفقدي إياهم إيَّاي شديد؟!

قيل:

لأنك خالفتهم على ما هم عليه من حُبِّهم الدنيا، وشِدَّةِ حرصهم عليها، ولتمكُّن الشهوات من قلوبهم.

ما يُبالون ما نقص من دينك ودينهم إذا سَلِمت لهم بك دنياهم، فإن تابعتهم على ذلك كنت الحبيب القريب، وإن خالفتهم وسلكت طريق أهل الآخرة باستعمالك الحقّ جفا عليهم أمرك.

فالأبوانِ مُتبرِّمانِ[2] بفعالِك، والزوجةُ بك مُتضجِّرة، فهي تُحبُّ فراقك.

والإخوانُ والقرابةُ فقد زَهِدوا في لقائك، فأنت بينهم مَكروبٌ

---

(١) في الأصل: (مواثيم). والمواتيم: من المأتم. قال في «النهاية» (١/ ٢١): مجتمع الرجال والنساء في الغم والفرح، ثم خُص به اجتماع النساء للموت. اهـ.

(٢) في الأصل: (فالأبوين متبرمين). والتبرم: هو الضجر والسآمة.

محزون، فحينئذ نظرت إلى نفسك بعين الغُربة؛ فآنستَ بأمثالك من الغرباء، واستوحشت من الإخوان والأقرباء، فسلكت الطريق إلى الله الكريم وحدك.

فإن صبرتَ على خُشونة الطريق أيامًا يسيرة، واحتملت الذُّلَّ والمُداراة مُدَّةً قصيرة، وزَهِدت في هذه الدار الحقيرة؛ أعقبك الصبرُ أن وُرِدَ بك إلى دار العافية أرضُها طيبة، ورياضها خَضِرة، وأشجارها مُثمرة، وأنهارها عَذْبة، فيها ما تشتهي الأنفُس، وتَلذُّ الأعين، وأهلها فيها مخلدون، ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ [٥٤/أ] خِتَامُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين]، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الواقعة](١).

---

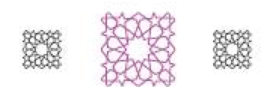
(١) قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «كشف الكُربة» (ص٢٩): وخرَّج الطبراني بإسناد فيه ضعف عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في حديث طويل في ذكر أشراط الساعة، قال: «**وإن من أشراطها أن يكون المؤمن في القبيلة أذل من النقد**». و(النقد): هم الغنم الصغار.

وفي «مُسند الإمام أحمد» عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرجلٍ من أصحابه: يُوشك إن طالت بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبدأه، وأحلَّ حلاله، وحرَّم حرامه، ونزل عند منازله، لا يحور فيكم إلَّا كما يحور رأس الحمار الميت.

ومثله قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذلَّ من الأَمَة.

وإنما ذلَّ المؤمن آخر الزمان؛ لغربته بين أهل الفساد من أهل الشبهات والشهوات، فكلهم يكرهه ويؤذيه لمخالفة طريقته لطريقتهم، ومقصوده =

٢٥ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن هارون العسكري، قال: أخبرنا إبراهيم بن الجنيد الخُتُلِّي، قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن العباس، قال: حدثني محمد بن معاوية الصوفي، قال: أخبرني رجلٌ من أهل خُراسان، قال: أوحى الله عَزَّوَجَلَّ إلى نبيٍّ من الأنبياء: إن أردت لقائي غدًا في حَظيرة القُدس[1] فكن في الدنيا غريبًا، محزونًا، مستوحشًا، كالطير الوحداني الذي يطير في الأراضي القِفار[2]، ويأكل من رؤوس الأشجار، فإذا كان الليل أوى إلى وَكْرِه ولم يكن مع الطير استئناسًا برَبِّه، واستيحاشًا من الناس.



= لمقصودهم، ومباينته لما هم عليه... ومنهم من كان يكرهه أهله وولده لاستنكار حاله، سمع عمر بن عبد العزيز امرأته مرَّةً تقول: أراحنا الله منك. قال: آمين. اهـ.

(١) في «الصحاح» (٣/ ٩٦٠): القُدْسُ والقُدُسُ: الطُّهرُ، اسمٌ ومصدرٌ. ومنه قيل للجنَّة: حظيرة القُدْسِ.

(٢) في «الصحاح» (٢/ ٧٩٧): القَفْرُ: مفازةٌ لا ماء فيها ولا نبات، والجمع قِفارٌ.

٣ ـ باب

صفة الغريب الذي لو أقسم على الله عز وجل لأبرَّ قسمه

٢٦ ـ **أخبرنا** محمد، قال: ثنا أبو العباس عبد الله بن الصقر السكري، قال: حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، قال: ثنا إسحاق بن إبراهيم بن سعيد، قال: ثنا صفوان بن سليم، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال: «**طُوبى لعبدٍ مُغبرَّةٍ قدماه في سبيلِ الله عز وجل، شَاعثٌ رأسه، إن كانت الساقةُ كان فيهم، وإن كان الحَرسُ كان فيهم، وإن شفعَ لم يُشفَّع، وإن استأذنَ لم يُؤذن له، طُوبى له، ثم طُوبى**»(١).

٢٧ ـ **أخبرنا** محمد، قال: أخبرنا أبو سعيد الحسن بن علي الجصَّاص، قال: ثنا محمد بن عُزيز الأيلي، قال: حدثني سلامة بن روح، عن عقيل بن خالد، عن ابن شِهاب [٥٤/ب]، قال: حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧)، قال: وزادنا عمرو، قال: أخبرنا عبد الرحمٰن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**تَعِسَ عبدُ الدينار، وعبدُ الدرهم، وعبدُ الخَميصة، إن أُعطِيَ رَضِيَ، وإن لم يُعطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتقَشَ، طُوبى لعبدٍ آخذٌ بعَنانِ فرسِهِ في سبيل الله، أشعثَ رأسُه، مُغبرَّةٌ قدماه، إن كان في الحِراسةِ كان في الحِراسَةِ، وإن كان في السَّاقَةِ كان في السَّاقَةِ، إن استأذن لم يُؤذنَ له، وإن شَفعَ لم يُشفَّع**».

وفي «النهاية» (٢/ ٢٤٢): (الساقة): جمع سائق، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة، ويكونون من ورائه يحفظونه. اهـ.

«رُبَّ أغبرَ، ذِي طِمرين، لا يُؤبه له[١]، لو أقسم على الله عز وجل لأبرَّه»[٢].

٢٨ ـ **أخبرنا** محمد، قال: ثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: ثنا محمود[٣] بن خالد، قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز، قال: ثنا زيد بن واقد، عن بُسر بن عبيد الله، عن أبي إدريس الخولاني، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبِرُكم عن مُلوكِ أهل الجنَّةِ؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «كل ضَعيفٍ، أُغيبرٍ، ذي طِمرَينِ، لا يُؤبَه له، لو أَقسَمَ على اللهِ عز وجل لأبرَّه»[٤].

---

(١) الطِّمْر: الثوبُ الخَلَق البالي الرث.
وقوله: «لا يؤبه به»، أي: لا يُبالى به، ولا يُلتفَت إليه.
«النهاية» (٥/ ١٤٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٨٥٤).
وروى البخاري (٤٦١١)، ومسلم (١٦٧٥) نحوه في قصَّة كَسْرِ الرُّبيِّع ثنية جارية من الأنصار، وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن مِن عبادِ الله من لو أقسمَ على الله لأبرَّه».
ورواه مسلم (٢٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ أشعثَ مدفوعٌ بالأبوابِ، لو أقسمَ على الله لأبرَّه».

(٣) في الأصل: (محمد)، والتصويب من الهامش.

(٤) رواه ابن ماجه (٤١١٥)، وفيه انقطاع، أبو إدريس لم يسمع من معاذ رضي الله عنه.
وسأل ابن أبي حاتم رحمه الله أباه كما في «علل الحديث» (١٨١٤) عن هذا الحديث؟
فقال: هذا حديث خطأ، إنما يروى عن أبي إدريس، كلامه فقط. اهـ.
وروى البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣) من حديث حارثة بن وهب الخُزاعي رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيفٍ مُتضَعَّفٍ، لو أقسمَ على الله لأبرَّه، ألَا أُخبرُكم بأهلِ النار؟ كلُّ عُتُلٍّ، جوَّاظٍ مُسْتَكبِرٍ».

٢٩ ـ أخبرنا محمد، قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العَطَشِي، قال: ثنا أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الحكيم النسائي، قال: حدثني محمد بن الحسين البُرجلاني، قال: حدثني الحسين بن أحمد[١] الشامي، قال: سمعت ذا النون المصري رحمه الله، يقول: ركبنا البحرَ نريد مكة، ومعنا في المركِب رجلٌ عليه أطمار رَثَّة[٢]، فوقع في المركِب تُهمةٌ، فدارت حتى صارت إليه، فقلت له: إن القوم اتهموك.

فقال: إيايَّ تعني؟!

فقلت: نعم.

قال: فنظرَ إلى السماء، وقال: أقسمتُ عليك، ثم قال: أقسمتُ عليك إلَّا ما أخرجت ما فيه من حوتٍ بجوهرةٍ، قال: فلقد خُيِّل إليَّ أن ما في البحر حوتٌ إلَّا وقد خرجت في فِيها لؤلؤةٌ أو جوهرة، ثم رمى بنفسِه في البحر وذهب.

٣٠ ـ أخبرنا محمد، قال: أنشدني أبو بكر عبد الله بن حُميد المُؤدِّب في ذلك:

رُبَّ ذي طِمرين نِضْوٌ[٣] يأمنُ العالَمُ شَرَّه
لا يُرى إلَّا غنيًّا وهو لا يَملِكُ ذَرَّه [٥٥/أ]
ثم لو أقْسَمَ في شيءٍ على اللهِ أبَرَّه

٣١ ـ أخبرنا محمد، قال: وأنشدنا أبو بكر محمد بن أحمد بن هارون العسكري، قال: أنشدنا إبراهيم بن الجُنيد لبعض المُتعبِّدين:

---

(١) في «الحلية» (١٠/ ١٦٧) من طريق المصنف: (محمد).
(٢) الرث: الشيء البالي، وجمعه: رِثاثٌ. «الصحاح» (١/ ٢٨٢).
(٣) يقال: جمل نضو، يعني: مهزول. «المصباح المنير» (ص٦٢٠).

ألا رُبَّ ذي طِمْرَينِ أشعثَ أغبرَا يُدافَعُ بالأبوابِ إذ ظَلَّ مُعسِرا
مُطيع يَخافُ اللهُ في كل أمره يكادُ من الأحزان أن يَتَفطَّرا
ولو يُقسِمنْ ألفًا عليه أبرَّه وكان حقيقًا أن يُجابَ ويُجْبَرا

٣٢ ـ أخبرنا محمد، قال: حدثني أبو محمد بن صاعد، قال: ثنا الحسين بن الحسن، قال: أخبرنا الفضل بن موسى، قال: حدثنا حزم بن مهران القُطَعي، قال: سمعت معاوية بن قُرَّة، يقول: بلغنا أن كعبًا[(١)] كان يقول: طُوبى لهم، طُوبى لهم.

فقيل: ومن هم يا أبا إسحاق؟

قال: طوبى لهم إن شَهِدُوا لم يُدخَلوا، وإن خَطَبُوا لم يُنكحوا، وإن ماتوا لم يُفتقَدوا.

٣٣ ـ قال أبو بكر محمد بن الحسين: حدثني بعض أصحابنا عن أبي الفضل الشِّكْلي، قال: رأيت شابًّا في الطريق وعليه خَلَقٌ[(٢)]، وكأني لم أحفل به، فالتفت إليَّ، ثم قال:

لا تنأ[(٣)] عني بأن ترى خَلَقِي فإنَّما الدُّرُّ داخِلَ الصَّدَفِ
علمي جديدٌ وملبسي خَلَقٌ ومُنتهى اللُّبْسِ مُنتهى الصَّلَف[(٤)]

قال: فجعلت ألوذُ به[(٥)]، وأنست به.

٣٤ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا الفِريابي، قال: أخبرنا إسماعيل بن عُبيد بن أبي كريمة الحرَّاني، قال: ثنا محمد بن سلمة الحرَّاني، عن أبي عبد الرحيم، عن أبي عبد الملك، عن

(١) يعني: كعبًا الأحبار رحمه الله.
(٢) لعله يريد: عليه ثياب خلقة أي: بالية قديمة.
(٣) في الأصل: (لا تأن).
(٤) في «النهاية» (٣/ ٤٧): (الصَّلَف): هو الغُلوُّ في الظَّرف، والزيادةُ على المقدار مع تكبُّر.
(٥) في «القاموس المحيط» (ص٣٣٧): اللَّوذ بالشيء: الاستتار والاحتضان به.

القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن نبيِّ الله ﷺ، قال: «**إن أغبطَ الناسِ عندي**[١]**: لمؤمنٌ خفيفُ الحاذِ**[٢] [٥٥/ب]**، ذو حظٍّ من صلاةٍ، أحسنَ عبادة ربه عز وجل، وكان رِزقُه كَفافًا، لا يُشارُ إليه بالأصابع، وصبرَ على ذلك حتى يلقى الله عز وجل، ثم حلَّت مَنِيَّتُه، وقل تُرَاثُه، وقَلَّت بواكيه**»[٣].

٣٥ ـ أخبرنا محمد بن الحسين، قال: أنشدني أبو بكر عبد الله بن حُميد المؤدِّب في ذلك:

أخصُّ الناسِ بالإيمانِ عبدٌ ... خفيفُ الحاذِ مَسكنُه القِفار
له في الليلِ حَظٌّ من صلاةٍ ... ومن صومٍ إذا جاءَ النهار
وقوت النفسِ يأتي في كَفافٍ ... وكان له على ذاك اصطبارُ
وفيه عفَّةٌ وبه خُمولٌ ... إليه بالأصابعِ لا يُشارُ
وقلَّ الباكياتُ عليه لمَّا ... قضى نَحْبًا وليس له يَسارُ

---

(١) أي: أحسن الناس حالًا. «الصحاح» (٣/ ١١٤٦).

(٢) «النهاية» (١/ ٤٥٧): الحاذ والحال: واحد، وأصل الحاذ: طريقة المتن، وهو ما يقع عليه اللَّبدُ من ظهر الفرس، أي: خفيف الظهر من العيال. اهـ.

(٣) رواه أحمد (٢٢١٦٧ و٢٢١٩٧)، والترمذي (٢٣٤٧)، وابن ماجه (٤١١٧).

في إسناده: علي بن يزيد الألهاني أبو عبد الملك، قال البخاري: منكر الحديث، ضعيف.

وقال محمد بن إبراهيم الكناني الأصبهاني: قلت لأبي حاتم: ما تقول في أحاديث علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه؟

قال: ليست بالقوية، هي ضعاف.

«تهذيب الكمال» (٢١/ ١٨١).

ـ قال الخطابي في «العُزلة» (١٢١): قد غبط النبيُّ ﷺ من كان بهذه الصفة من غموض الشخص، وخمول الذكر في الناس، واشترط له: الرضا بقلَّة؛ لأن القناعة تقطعه عن الناس، واشترط له أيضًا خفَّة العيال؛ لئلا يشغله الكسب لهم، ثم تعجيل الوفاة؛ لئلا يطول مقامه فيما بينهم. وهذه الأسباب كلها تُشير إلى العُزلة وتُبين عن فضيلتها. اهـ.

فـذلـك قـد نـجـا مِـن كُـلِّ شَـرٍّ ولـم تَـمْـسَـسْـه يـومَ الـبـعـثِ نَـارُ

٣٦ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، قال: ثنا أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثني علي بن حكيم، قال: أخبرنا حُميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، عن محمد بن مسلم الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس، عن سُليم(١) بن هرمز، عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، قال: أَحبُّ شيء إلى الله عز وجل الغرباء.

قيل: وما الغرباء؟

قال: الفرَّارون بدينهم، يجتمعون إلى عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة(٢).

٣٧ ـ أخبرنا محمد، قال: أخبرنا الفِريابي، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، قال: أخبرنا ابن أبي فُديك، قال: حدثني يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة، عن نافع بن مالك، قال: دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسجد فوجد معاذ بن جبل جالسًا إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي، فقال له عمر: ما يُبكيك يا أبا عبد الرحمن، هَلَكَ أخوك ـ لرجلٍ [٥٦/أ] من أصحابه [هَلَكَ] ـ؟

قال: لا؛ ولكن حديثًا حدثنيه حِبِّي صلى الله عليه وسلم وأنا في هذا المسجد.

---

(١) في الأصل: (سليمان)، وما أثبته من «التاريخ الكبير» للبخاري (٤/ ١٣٠)، و«التواضع والخمول» لابن أبي الدنيا (١٦).

(٢) رواه الداني في «الفتن» (١٦٠) من طريق المصنف.

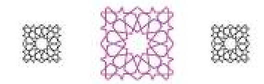
ورواه أحمد في «الزهد» (ص١٤٩)، ومن طريقه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٨١٨)، مرفوعًا عن سفيان بن وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج، عن ابن أبي مُليكة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال صلى الله عليه وسلم... فذكره.

قال عبد الله بن أحمد: سمعت سفيان بن وكيع يقول: إني لأرجو أن يكون أحمد بن حنبل رحمه الله منهم.

وهو حديث ضعيف كما بينته في تحقيق «الإبانة الكبرى».

فقال: ما هو يا أبا عبد الرحمٰن؟

قال: أخبرني: «**أن الله عَزَّوَجَلَّ يُحبُّ الأخفياءَ**[١] **الأتقياءَ الأبرياءَ**[٢]، **الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإن حضروا لم يُعرفوا، قلوبُهم مصابيحُ الهدى، يخرجون من كلِّ فتنةٍ عمياءَ مُظلَّمة**»[٣].



---

(١) في «النهاية» (٢/ ٥٧): الخفي: هو المعتزل عن الناس الذي يخفى عليهم مكانه. اهـ.

(٢) في «تهذيب اللغة» (١٥/ ١٩٥): قال ابن الأعرابي: (البريء): المُتفصِّي عن القبائح، المُتنحي عن الباطل والكذب، البعيد عن التهم، النقي القلب من الشرك.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٩٨٩) بنحوه من طريق عبد الله بن وهب، أخبرني ابن لهيعة، عن عيسى بن عبد الرحمٰن، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث ضعيف، كما في «مصباح الزجاجة» (٢٠٤١).

٤ ـ باب

ذكر من كان يُحبُّ الغُربة ويُخفي نفسَه وينتقلُ مِن موضعٍ إلى موضعٍ

٣٨ ـ أخبرنا محمد، قال: أخبرنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشِّكْلي، قال: ثنا محمد بن إسحاق السُّلمي، قال: ثنا محمد بن صالح التيمي[(١)]، قال: قال أبو عبد الله مؤذِّن مسجد بني حرَام: جاورني شابٌّ، فكنت إذا أذنتُ للصلاة وأقمت فكأنه في نَقرة قفاي، فإذا صليتُ صلى، ثم لبس نعليه، ثم دخل منزله، فكنت أتمنَّى أن يُكلمني أو يسألَني حاجة، فقال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله، عندك مصحفٌ تُعيرني أقرأ فيه؟ فأخرجتُ إليه مُصحفًا فدفعته إليه، فضمَّه إلى صدره، ثم قال: ليكوننَّ اليومَ لي ولك شأنٌ[(٢)].

ففقدته ذلك اليوم فلم أره يخرج، فأقمت للمغرب فلم يخرج، وأقمت لعشاء الآخرة فلم يخرج، فساءَ ظنِّي، فلما صليت عشاء الآخرة جئت إلى الدار التي هو فيها، فإذا فيها دلوٌ ومطهرة، وإذا على بابه سِترٌ، فدفعت الباب وإذا به ميتًا والمصحف في حِجره، فأخذت المصحف من حِجره، واستعنت بقوم على حمله حتى وضعناه على سريره، وبقيتُ ليلتي أُفكِّرُ من أُكلِّم حتى يكفنه، فأذنت الفجر بوقت، ودخلت المسجد لأركع، فإذا بضوءٍ في القبلة، فدنوت منه فإذا بكفنٍ ملفوفٍ في القبلة فأخذته، وحمدت الله تعالى، وأدخلته البيت وخرجت، فأقمتُ الصلاة

(١) في طبعة دار ابن القيم: (التميمي).
(٢) في الأصل: (شأنا).

فلما [٥٦/ب] سلمت، وإذا عن يميني ثابت البُناني، ومالك بن دينار، وحبيب الفارسي، وصالح المُرِّي، فقلت لهم: يا إخواني، ما غدا بكم؟

قالوا لي: مات في جوارك الليلة أحدٌ؟

قلت: مات شابٌّ، كان يُصلي معي الصلوات.

قالوا لي: أرناه.

فلما دخلوا عليه كشف مالك بن دينار الثوب عن وجهه، ثم قبَّل موضع سجوده، ثم قال: بأبي أنت يا حجاج[١]، إذا عُرفت في موضعٍ تحوَّلت منه إلى موضعٍ غيره حتى لا تُعرف، خذوا في غَسْلِه، وإذا مع كلٍّ واحدٍ منهم كفنٌ، فقال كلُّ واحدٍ منهم: أنا أُكفِّنه، فلما طالَ ذلك منهم، قلت لهم: إني فكَّرت في أمره هذه الليلة، فقلت: من أُكلِّم حتى يُكفِّنه، فأتيت المسجد، فأذَّنت، ثم دخلت لأركع، فإذا كفنٌ ملفوفٌ لا أدري من وضعه.

فقالوا: يُكفَّن في ذلك الكفن.

فكفَّناه وأخرجناه، فما كدنا نرفع جنازته من كثرة من حضره من الجمع.

٣٩ ـ أخبرنا محمد بن الحسين، قال: أنشدنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشِّكْلي، قال: أنشدني بعض أصحابنا:

ألا رُبَّ ذي طِمرينِ في مَجلسٍ غدا ... زَرابِيُّه مَبثوثَةٌ ونَمارِقُه[٢]

قد اطردت أنهارُه في رياضه ... مع الحُورِ والتفَّتْ عليه حدائقُه

محَلُّ ديارٍ إن حللتَ ديارَها ... نَعِمتَ بدار الخُلْدِ مع من تُرافِقُه

رَفيقٌ وجارٌ للنبيِّ محمدٍ ... لقد أُعطيَ الزُّلفى رَفيقٌ يُرافِقُه

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١/١٤٨) فقال: الحجاج العابد. ثم أسند له هذه القصة من طريق الآجري.

(٢) (الزرابي): البُسُط. (والنمرقة): الوسادة.

فيا حُسنَ عبدٍ جاورَ اللهَ ربَّه بدارِ الغنى والغانياتُ تُعانِقُه
ويا حُسْنَهُ والحُورُ يَمشينَ حَولَه على فُرُشٍ الدِّيباج سُبحانَ خالِقُه

٤٠ ـ [٥٧/أ] **قال: أخبرنا** محمد بن الحسين، قال: وثنا أبو الفضل الشِّكْلي ـ أيضًا ـ قال: حدثني الحسين بن أحمد الأزدي، قال: قدم المصِّيصة فتًى من المُتعبِّدين، فنزل في مسجد أسدٍ الخشَّاب، وكان يسمع من الناس الحديث، وكان عليه أطمار، وكان ناحِل الجسم، ذابلًا، فأشرف أسدٌ على بعض اجتهاده فقرَّبه، وأدناه، وخصَّه بالحديثِ، فلما رأى ذلك من فعلِه هربَ منه، فافتقده فحزِنَ عليه حُزنًا شديدًا، فأنشأ يقول:

يا من رأى لي غريبًا ثيابُه أطمَار
الجسمُ منه نَحِيلٌ والوجْهُ فيه اصفِرار
عليه آثارُ حُزنٍ بوجهَه واغتِيَار
يقومُ في جَوفِ ليلٍ يُناجيَ الجَبَّار
يقولُ: يا سؤل قلبي يا مَاجِدٌ غفَّار
فالدمعُ يجري بِحُزنٍ فدمعُه مِدرار
يبغي جنانَ نعيم يا حُسنَ دارِ القَرار
فيها جَوارٍ حِسانٌ يا حُسنَ تلكَ الجَوار
عرائسٌ في خيامٍ من اللآلئِ الكِبَار
كواعبٌ غَنِجاتٌ نُواهِدٌ أبكَار
لباسُهنَّ حَريرٌ يُحيِّرُ الأبصَار
وفي الذِّراعِ سِوارٌ يا حُسنَه مِن سِوار
شَرابُهنَّ رَحِيقٌ يُفجِّرُ الأنهار
وسَلسبيلٌ وخَمرٌ تباركَ الجَبَّار
يا مِن رأى لِي غريبًا ثيابُه أطمار

٤١ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار، قال: ثنا أبو بكر أحمد بن عتاب، قال: سمعت أبا بكر [بن مسلم] يقول:

يا من يُريدُ بزعمِه الإخمالا ... إن كان حقًّا فاستعدَّ خصالا
اترك التذاكر والمَجالس كلَّها ... واجعل خروجَك للصلاةِ خَيالا
بل كن بها حيًّا كأنك ميتٌ ... لا يَرتجي منه القريبُ وِصالا [٥٧/ب]
وأْنَسْ بربِّك واعلمنْ بأنَّه ... عونُ المُريدِ يُسدِّدُ الإخلالا
يُعطي ويَثني بالعطاءِ تَفضُّلًا ... بعدَ الثوابِ ويَبْسُطُ الآمَالا
من ذا يُريدُ مع الودودِ مُؤانسًا ... من ذا يُريدُ لغيرِه أشغالا
من ذا يَلذُّ بَغيرِ ذكرِ مَليكِه ... من ذا يُريدُ لغيرِه أعمَالا
لا تَقنعنْ مِن الحياةِ بغيرِه ... وابذُلْ قُواكَ وقطِّعِ الأوصالا
فلئن بَلغتْ لأنت أكرمُ من بها ... ولئن هلكتْ فما طَلبت مُحَالا[(١)]
من ذاق[(٢)] كأسَ الخوف ضاق بذرْعِه ... حتى ينالَ مُرادَه إن نَالا
حاشا مُؤمِّلُ سيِّدي مِن خَيبةٍ ... جلَّ الجوادُ بفعلِه وتعالا

٤٢ ـ أخبرنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أبو الفضل الشُّكْلي، قال: حدثني سعيد بن عثمان الخيَّاط، قال: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا في مسيري إذ لقيتني امرأة من المُتعبِّدات، كأنها والِهَة[(٣)].

فقالت لي: من أين أنت؟

فقلت: أنا رجل غريب.

فقالت لي: يا غريبُ، وهل توجدُ مع الله عَزَّ وَجَلَّ أحزانُ الغُربةِ، وهو مؤنسُ الغرباء، ومُعينُ الضعفاء؟!

---

(١) في الأصل: (حلالا)، ولعل الصواب ما أثبت. وفي المطبوع: (ظلمت خلالا).
(٢) في الأصل: (ضاق)، ولعل الصواب ما أثبت. وهو كذلك في المطبوع.
(٣) في «النهاية» (٥/ ٢٢٧): والوَلَه: ذهاب العقلِ، والتَّحيُّرُ مِن شدَّة الوَجد.

قال: فبكيت.

فقالت: اعلم أن البُكاءَ راحةٌ للقلب، وملجأٌ يُلجأُ إليه، وما كتمَ القلب شيئًا هو أولى من الشَّهيق والزفير.

قلت: علميني شيئًا.

فقالت: حِبَّ ربَّك، واشتقْ إليه[1]، فإن له يومًا يتجلَّى فيه لأهل محبَّته فيُنيلهم ما أمَّلوا من رُؤيته.

ثم أخذتْ في الشَّهيق والزفير، فتركتُهَا على حالها ومَضيتُ.

٤٣ ـ أخبرنا محمد، قال: حدثني أبو القاسم عبد الله بن محمد العَطَشِي المقرئ، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، قال: حدثني محمد بن الحسين البُرجلاني، قال: حدثني محمد بن أبي عبد الله الخُزاعي، قال: حدثني رجلٌ من أهل الشام [٥٨/أ] قال: صحبني رجلٌ من النصارى في بعض الطريق، فقلت: أين تُريد؟

فقال: أريد راهبًا ههنا أقتبس من علمه.

فقلت: أجيء معك؟

قال: إن شئت.

قال: فأتينا على كهفِ جبل ناحيةً عن طريق الناس، قال: فوقف النصراني فنادى بأعلى صوته: يا مُعلِّمَ الخير، أتيتك لأقتبس من علمك خيرًا؛ فعلمني، نفعك الله بعلمك.

قال: فهتف به هاتفٌ من داخل الكهف: أيها السائلُ عن سبل المنافع، تيقَّظ حين يغفل الجاهلون عن أنفسهم.

قال: فجلس النصراني يبكي، وقال: ما أراه إلَّا مريضًا، وإني

(١) في الأصل: (واشتاق إليه).

لأخاف أن يكون قد دنا أجله، وما أرى أنا نُمطر إلَّا به، فقلت: فلو دخلنا عليه. قال: إن شئت، قال: فانحدرنا في الكهف حتى أتينا على موضعٍ منه وَعِرٍ، فإذا شيخٌ كبيرٌ قد سقط حاجباه على عينيه، وإذا هو مكبوبٌ على وجهه، وإذا هو يقول: لئن كنتَ أطلتَ جهدي في دار الدنيا وتُطيلُ شقائي في الآخرة، لقد أهملتني وأسقطتني من عينك أيها الكريم.

قال: فسَلَّمنا عليه، فرفع رأسَه، فإذا دموعه قد بلَّت الأرض منها، فقال: ما أدخلكم عليَّ؟! ألم تكن الأرض لكم واسعة، وأهلها لكم أُنَّاسًا؟!

فلما رأيتُ من عقله ما رأيت، قلت: والله إني لأرغبُ بعقلك عن النار.

فبكى، وقال: ما الذي آيسني عندك من رحمة الله التي وسعت كل شيء؟

قال: فقلت: إن رحمة الله لن ينالها غيرُ أهلِ الإسلام دينًا.

قال: فبكى، ثم قال: ما أعرفُ غير الإسلام دينًا.

قال: فاشمأزَّ النصراني، وقال: يا مُعلِّمُ الخير، ترغب عن النصرانية ودين المسيح؟!

قال: فأقبل عليه، وقال: ثَكِلتك أُمّك، أنا [٥٨/ب] على دين المسيح، وهل كان للمسيح دينٌ[١] سوى الإسلام؟ إن الله تبارك وتعالى لما خلقَ خلقه ارتضى لهم الإسلام دينًا، فمن رغب عن الإسلام فلا حظَّ له في الآخرة ولا نصيب.

قال: فثار النصراني مولِّيًا، قال: فقلت: انتظر حتى أخرج معك.

قال: فقال الراهب: دعه، فمن كُتِبَ عليه الشَّقاء لم يسعد أبدًا.

قال: فقلت: يرحمك الله، اعتزلت الناس، واغتربت في هذا الموضع!

(١) في الأصل: (دينًا).

قال: فقال: وأنت أي أخي فحيثما ظننت أنه أقرب لك إلى الله عز وجل فابتغ إلى ذلك سبيلًا، فلن تجد متبوعًا مِن خيره عوضًا(١).

قلت: فالمَطعم؟

قال: قلَّ ذلك الحاجة إليه.

قال: قلت: فالقِلَّة؟

فقال: إذا أردنا ذلك فنبتُ الأرض، وقلوب الشجر.

قلت: أُخرِجك من هذا الموضع الوعِر، فآتي بك أرض الريف والخصب؟

فبكى، وقال: إنما الخصب والريف حيث يُطاع الله عز وجل، وأنا شيخ كبير، وإنما أموت الآن، ولا حاجة لي بالناس.

قلت: أوصني بشيءٍ أحفظه عنك.

قال: تفعل؟

قلت: إن شاء الله.

قال: لا تدَّخر عن نفسك من نفسك شيئًا، ولا تؤثرنَّ بحظك من الناس أحدًا، وارع حدود الله عز وجل عند مغالبة الهوى، وتنسَّم إلى محابه وإن صعب عليك المُرتقى، وأُخرى أقولها لك جِماعًا: لا تُرِدْ بفعلِكَ غيره. والسلام عليك. ثم أكبَّ لوجهه وهو يبكي(٢)، وانصرفت(٣).

---

(١) في المطبوع: (فلن يجد مبتغوه من غيره عوضًا).

(٢) في الأصل: (وهو يكى).

(٣) في «الأربعين في إرشاد السائلين» للطائي (ص١٨٧) من طريق الآجري، قال: ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العَطشي، ثنا إبراهيم بن الجنيد، ثنا محمد بن الحسين، قال: حدثني ابن سلمة الورَّاق، قال: حدثني قثم العابد، قال: حدثني عبد الواحد بن يزيد رحمه الله، قال: هبطت مرَّة واديًا، فإذا أنا براهب قد حبس نفسه في بعض غيرانه، فراعني ذلك. =

٤٤ ـ أخبرنا محمد، قال: سمعت أبا بكر بن أبي الطيب يقول: بلغنا عن عبد الله بن الفرج العابد، قال: احتجت إلى صانع يصنع لي شيئًا من أمر الرُّوزجاريين(١)، فأتيت [٥٩/أ] السوق فجعلت أرمق الصُّناع،

= فقلت: أجنيٌّ أم إنسيٌّ؟

قال: وفيم الخوف من غير الله ﷻ؟ لست بجنيٍّ، ولكن إنسيٌّ مغرور.

قال: قلت: منذ كم أنت هاهنا؟

قال: منذ أربع وعشرين سنة.

قال: فقلت: فمن أنيسك؟ قال: الوحوش.

قال: فما طعامك؟ قال: الثمار ونبات الأرض.

قال قلت: فما تشتاق إلى الناس؟ قال: منهم هربت.

قلت: أفعلى الإسلام أنت؟

قال: ما أعرف غيره، إلَّا أن المسيح أمرنا في الكتب بالعُزلة والانفراد عند فساد الناس. اهـ.

قلت: هاتان القصتان فيهما نظر!

فإن الرهبانية في الإسلام مذمومة كما لا يخفى، والإسلام وإن كان دين الأنبياء جميعًا فإن له معنى عامًّا، ومعنى خاصًّا؛ فالعام: ما دعا إليه سائر الأنبياء من إخلاص الوجه لله ﷻ، وإن كان لكلٍّ شريعته.

وأما الخاص فهو ما بعث الله ﷻ به محمدًا ﷺ من العقيدة والعمل.

وعليه فمن عبد الله بغير ما جاء به ﷺ فهو مردود عليه وهو في الآخرة من الخاسرين كائنًا من كان، والله اعلم.

(١) في «بستان العارفين» (ص٣٥): (الرُّوزجار): هو براء مضمومة، ثم واو ساكنة، ثم زاي، ثم جيم، ثم ألف، ثم راء، وهو الذي يعمل في الطين بالمجرفة ونحوها. اهـ.

ـ وفي «الأنساب» للسمعاني (١٨٣٦): (الرُّوزْجارِي) بضم الراء، وسكون الزاي بينهما الواو والجيم المفتوحة ثم الألف، وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى الروزجار، وهو روزكار، يعني: الذي يعمل بالنهار، ويقال ببغداد لمن يعمل بالنهار: الروزجارية. اهـ.

ـ وفي «صفة الصفوة» (١/ ٤٦٤): ولد الرشيد المعروف بالسبتي، ويقال: =

فإذا في أواخرهم شابٌّ مِصفرٌّ بين يديه زَبيلٌ(١) كبير، ومَرٌّ، وعليه جُبَّة صوفٍ، ومئزر صوف، فقلت له: تعمل؟

قال: نعم.

قلت: بكم؟

قال: بدرهم ودانق.

فقلت له: قُم حتى تعمل.

قال: على شريطة.

فقلت: وما هي؟

قال: إذا كان وقت الظهر وأذن المؤذن خرجتُ، فتطهرتُ، وصليتُ في المسجد جماعة ورجعت، وإذا كان وقت العصر فكذلك.

فقلت: نعم.

فقام معي، فجئنا المنزل، فوافقته على ما يفعله(٢) من موضع إلى موضع، فشدَّ وسطه، وجعل يعمله ولا يُكلمني بشيءٍ حتى أذَّن المؤذن الظهر، فقال: يا عبد الله! قد أذَّن المؤذِّن.

قلت: شأنك.

فخرج فصلَّى، فلما رجع عمل أيضًا عملًا جيدًا إلى العصر، فلما أذَّن المؤذِّن، قال لي: يا عبد الله!

= اسمه أحمد رضي الله عنه، وساق نحو هذه القصة، وفيها: (قال: من أين لك هذا الخاتم؟ قلت: دفعه إليَّ رجلٌ طيَّان. فقال لي: طيَّان طيَّان! وقربني منه...)، وذكر بقية القِصَّة.

(١) في «المحكم والمحيط» (٩/ ٥٠): الزَّبِيلُ والزِّنْبِيلُ: الجِرابُ. وقِيلَ: الوَعاءُ يُحملُ فيه. اهـ.

(٢) في المطبوع: (ينقله).

قلت: شأنك.

فخرج فصلَّى ثم رجع، فلم يزل يعمل إلى آخر النهار، فوزنت له أجرته وانصرف.

فلما كان بعد أيامٍ احتجنا إلى عملٍ، فقالت لي زوجتي: اطلب لنا ذلك الصانع الشاب، فإنه نصحنا في عملنا.

فجئتُ السوق فلم أره، فسألت عنه، فقالوا: تسأل عن ذاك المُصفِّر المشؤومِ الذي لا نراه إلَّا من سبتٍ إلى سبتٍ، لا يجلسُ إلَّا وحده في آخر الناس.

فانصرفتُ، فلما كان يوم السبت أتيت السوق فصادفته، فقلت له: تعمل؟

قال: قد عرفتَ الأُجرةَ والشرطَ.

قلت: أستخيرُ الله تعالى.

فقام فعملَ على النحو الذي كان عمله. فلما وزنت الأُجرة زِدته، فأبى أن يأخذ الزيادة، فألحَحت عليه فضجر، وتركني ومضى، فغمني ذلك فاتبعته، [وأدركته] وداريته حتى أخذ أُجرته فقط. [٥٩/ب]

فلما كان بعد مُدَّةٍ؛ احتجنا أيضًا إليه، فمضيت يوم السبت فلم أُصادفه، فسألت عنه، فقيل لي: هو عليلٌ، فقال لي من يَخبُر أمره: إنما كان يجيء إلى السُّوقِ من سبتٍ إلى سبتٍ، يعمل بدرهم ودانق، ويتقوَّت كل يوم دانق، وقد مرض.

فسألتُ عن منزله، فأتيته وهو في بيت [عجوز]، فقلت [لها][1]: هذا الشابُّ الرُّوزجاري.

(١) ما بين [ ] من كتاب «التوابين» (ص١٠٦) من طريق المُصنِّف.

فقالت: هو عليلٌ منذ أيام. فدخلت عليه، فوجدته لما به، وتحت رأسه لَبِنة، فسلَّمتُ عليه، وقلت: لك حاجة؟

قال: نعم، إن قبِلت.

قلت: أقبل إن شاء الله.

قال: إذا أنا مُتُّ فبع هذا المرَّ، واغسل جُبتي هذه الصوف، وهذا المئزر، وكفنِّي بهما، وافتِق جيب الجُبَّة، فإن فيها خاتمًا فخذه، ثم انظر يومَ يركب هارون الرشيد الخليفة، فقف له في موضع يراكَ فكلِّمه، وأرِه الخاتم؛ فإنه سَيَدْعُوك، فسلِّم إليه الخاتم، ولا يكونن هذا إلَّا بعد دفني.

قلت: نعم. فلما مات، فعلت به ما أمرني، ثم نظرت اليوم الذي يركب فيه الرشيد، فجلست له على الطريق، فلما مرَّ ناديته: يا أمير المؤمنين، لك عندي وديعة. ولوحت بالخاتم، فأمر بي، فأُخذت، وحُمِلتُ حتى دخل إلى داره، ثم دعاني، وصرف جميع من عنده، وقال لي: من أنت؟

فقلت: عبد الله بن الفرج.

فقال: هذا الخاتم من أين لك؟!

فحدَّثته قصَّة الشاب، فجعل يَبكي حتى رحمته، فلما أنِسَ إليَّ، قلت: يا أمير المؤمنين، من هو منك؟

قال: ابني.

قلت: كيف صار إلى هذه الحاله؟!

قال: وُلِدَ لي قبل أن ابتُلى بالخلافة، فنشأ نُشوءًا حسنًا، وتعلَّم القرآن والعلم، فلما ولَيتُ الخلافة تركني ولم يَنلْ من دُنياي شيئًا،

فدفعت إلى أُمِّه هذا الخاتم وهو ياقوتٌ [٦٠/أ]، ويسوى مالًا كثيرًا[(١)]، فدفعتُه إليها، وقلت لها: تدفعين هذا إليه، وكان بارًّا بأُمِّه، وتسألينه أن يكون معه، فلعلَّه أن يحتاجَ إليه يومًا من الأيام فينتفع به، وتُوفِّيت أُمُّه، فما عرفت له خبرًا إلَّا ما أخبرتني به أنت، ثم قال لي: إذا كان الليل فاخرج معي إلى قبره، فلما كان الليل خرجَ وحده معي يمشي، حتى أتينا قبره، فجلس إليه، فبكى بكاء شديدًا، فلما طلعَ الفجر قمنا فرجع. ثم قال لي: تَعاهدني في كل الأيام حتى أزور قبره. فكنت أتعاهده في الليل، فيخرجُ فيزور قبره ثم يرجع.

قال عبد الله بن الفرج: فلم أعلم أنه ابن الرشيد حتى أخبرني الرشيدُ أنه ابنه، أو كما قال ابن أبي الطيب.

قال محمد بن الحسين:

٤٥ ـ وقد حدثني أبو عبد الله بن مخلد العطار بأخبار[(٢)] عبد الله بن الفرج، وفيها هذا الحديث على نحوٍ من هذا.

وقال في الحديث: فعَرَضَ الرشيد على عبد الله بن الفرج مالًا عظيمًا، فأبى أن يقبله.

قال أبو بكر:

٤٦ ـ وبلغني أن عبد الله بن الفرج لما مات لم تُعلِم زوجته لإخوانه بموته، وهم جلوسٌ بالبابِ ينتظرون الدخول عليه في عِلَّته، فغسَّلته، وكفَّنته في كساءٍ كان له، وأخذت فردة باب من أبواب بيته، وجعلته فوقه وشدته بشريط، ثم قالت لإخوانه: قد مات، وقد فرغتُ

(١) في الأصل: (مال كثير).
(٢) في الأصل: (أخبرنا).

من جهازه. فدخلوا فاحتملوه إلى قبره، وغلقتِ الباب خلفهم.

٤٧ ـ أخبرنا محمد، قال: وحدثني أبو سعيد بن الأعرابي، قال: حدثني إسحاق بن الحسن الحربي، قال: حدثني أبو عبد الرحمٰن البصري، قال: ثنا محمد بن خلاد الباهلي، قال: حدثني مُؤذِّن بلهُجيم، قال: نزل سفيان [٦٠/ب] الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ عندنا في سكننا، فكان يجلس معنا ونحن لا نعرفه، نظنُّ أنه أعرابيٌّ، وكان يُصغي إلى حديثنا، فإذا صِرنا إلى حديثه سمعنا كلامًا حسنًا يُذكِّرنا الجنة، ويُخوِّفنا النار، فإذا طردته الشمس حلَّ حبوته، وأنشأ يقول:

ما ضَرَّ مَن كان في الفردوسِ مَسكنُه ... ما مسَّه قَبلُ مِن ضُرٍّ وإقتارِ
تَراه في الناس يَمشي خائفًا وجِلًا ... إلى المَساجدِ هَونًا بين أطمارِ
تفنى اللَّذاذةُ(١) ممن نالَ صفوتَها ... من الحرام(٢) ويَبقى الخِزيُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ في مَغَبَّتِها ... لا خيرَ في لذَّةٍ مِن بَعدِها النَّارُ(٣)

(١) في الأصل: (اللذات)، وما أثبته من «المطبوع»، و«الحلية» (٧/ ٢٢١).

(٢) في الأصل: (الحياة)، وما أثبته من «المطبوع»، و«الحلية»، و«ذم الهوى» (١٨٦).
ـ وفي «الحلية»، و«ذم الهوى»: (ويبقى الإثم والعار).

(٣) في «الحلية» (٧/ ٧٠): قال عبد الله بن المبارك: كتب إلي سفيان الثوري: بُثَّ علمك، واحذر الشُّهرة.
ـ وفي «السير» (٧/ ٢٦٠): قال عبد الله بن المبارك: قال لي سفيان: إيَّاك والشهرة، فما أتيت أحدًا إلَّا وقد نهى عن الشُّهرة.

٥ ـ بَاب

في مَوتِ الغريبِ

٤٨ ـ أخبرنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: ثنا يحيى بن أيوب العابد، قال: ثنا عبد الله بن وهب، قال: ثنا حُيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِّي، عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، قال: توفي رجلٌ بالمدينة ممن ولد بالمدينة، فصلَّى عليه رسول الله ﷺ، وقال: «**يا ليتَه ماتَ في غيرِ مَولدِه**».

فقال رجلٌ: لم يا رسول الله؟!

فقال: «**إن الرجلَ إذا ماتَ في غيرِ مولدِه، قيس له من مولدِه إلى مُنقطع أثره في الجنة**»[1].

٤٩ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا العَطَشِي، قال: ثنا علي بن الحسن[2] بن عرفة، قال:

---

(١) رواه أحمد (٦٦٥٦)، والنسائي (١٨٣٢)، وابن ماجه (١٦١٤)، وابن حبان (٢٩٣٤).

وفي إسناده: حُيي بن عبد الله المَعافري، قال البخاري: فيه نظر.

وقال النسائي: ليس بالقوي.

وذكر ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٨٨) بعض رواياته من هذا الطريق الذي ساقه المُصنِّف، ثم قال: وبهذا الإسناد خمسة وعشرون حديثًا عامتها لا يُتابع عليها. اهـ.

(٢) في الأصل: (الحسين)، والصواب ما أثبته كما في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٩٩). وفي «المطبوع دار ابن القيم»: (أبو علي الحسن بن عرفة)!.

حدثني يحيى[١] بن أيوب. . . وذكر الحديث.

٥٠ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطَّار، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن جعفر، قال: ثنا منصور بن عمَّار، قال: أنبا ابن لهيعة، عن حُيي بن عبد الله [٦١/ب] المُعافري، عن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلي، عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، قال: وقف رسول الله ﷺ على قبر رجلٍ بالمدينة، فقال: «**يا له! لو ماتَ غريبًا**».

قيل: وما للغريبِ منا يموت بغير أرضه؟

فقال: «**ما من غريبٍ يموتُ بغير أرضه: إلَّا[٢] قيسَ له من تُربته إلى مولدِه في الجنة**».

٥١ ـ أخبرنا محمد، قال: وحدثنا أبو عبد الله بن مخلد ـ أيضًا ـ، قال: ثنا حفص بن عَمرو الربالي، قال: ثنا هذيل بن الحكم الأزدي، قال: حدثني عبد العزيز بن أبي رواد، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**موتُ الغريبِ شَهادة**»[٣].

٥٢ ـ أخبرنا محمد، قال: وثنا ابن مخلد ـ أيضًا ـ، قال: حدثني موسى بن نصر أبو عمران البزَّار، قال: حدثني عبد الرحمٰن بن نافع أبو زياد[٤]، قال: حدثنا أبو رجاء الخُراساني عبد الله بن الفضل، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن

(١) في الأصل: (محمد)، والصواب ما أثبته كما في الإسناد السابق.
(٢) في الأصل: (إلى)، والصواب ما أثبته.
(٣) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٦٥)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٢٣٨١).
وفي إسناده: الهذيل بن الحكم، قال البخاري: منكر الحديث.
وذكر في «الميزان» (٤/ ٢٩٤) هذا الحديث من مناكيره.
(٤) في الأصل: (بن زياد)، والصواب ما أثبته كما في «الجرح والتعديل» (١٣٩٥).

أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**موتُ الغريبِ شهادة**»(١).

٥٣ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا ابن صاعد، قال: ثنا الحسين بن الحسن، قال: أخبرنا ابن المُبارك، قال: أخبرنا ابن لهيعة، قال: أخبرني الحارث بن يزيد، عن جندب بن عبد الله العدواني(٢)، أنه سمع سفيان بن عوف القارئ، يقول: سمعت عبد الله بن عَمرو(٣) رضي الله عنهما يقول: كنا عند رسول الله ﷺ يومًا حين طلعت الشمس، فقال: «**سيأتي ناسٌ من أُمَّتي يوم القيامة نورهم كضوءِ الشمس**».

فقلنا: ومن أولئك يا رسول الله؟

فقال: «**فُقراءُ المُهاجرين الذين تُتَّقَى بهم المكاره، يموتُ أحدُهُم وحاجتُه في صدره، يُحشرون من أقطارِ الأرض**»(٤).

٥٤ ـ أخبرنا محمد، قال: وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: حدثني يحيى بن أيوب العابد، قال: حدثنا محمد بن [٦١/ب] السمَّاك، عن عائذ بن نُسير، عن عطاء، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من ماتَ في هذا الطريق من حاجٍّ، أو مُعتمرٍ لم يُعرض ولم يُحاسب، وقيل: ادخُل الجنة**»(٥).

---

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٨٨) في ترجمة عبد الله بن الفضل الخراساني، وقال: منكر الحديث. ثم ساق إسناده، وقال: وفي هذا رواية من غير هذا الوجه شبيهة بهذه في الضعف.

قال ابن القيم في «المدارج» (٣/ ١٩١): هذا الحديث لا يثبت، وقد روي من طرق لا يصح منها شيء. قال الإمام أحمد: هذا حديث منكر. اهـ.

(٢) في الأصل: (الغداني)، والصواب ما أثبته كما في «المتفق والمفترق» (ص٦٢٦).

(٣) في الأصل: (عمر)، والصواب ما أثبته كما عند من خرجه.

(٤) رواه أحمد (٦٦٥٠ و٧٠٧٢). في إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.

ورواه أحمد (٦٥٧٠)، وابن حبان (٧٤١٤) وغيرهما نحوه من طريق آخر يتقوّى به.

(٥) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٦٠٨)، والدارقطني في «السنن» (٢٧٧٩)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٦١)، في ترجمة عائذ بن نُسير، وساق هذا الحديث =

٥٥ ـ أخبرنا محمد، قال: وحدثنا أبو عبد الله بن مخلد، قال: حدثنا علي بن حرب الطائي، قال: حدثني حسين الجُعفي، عن محمد بن السماك، عن عائذ، عن عطاء، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ مثله.

٥٦ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا ابن مخلد، قال: حدثني محمد بن ياسر[1] البزاز، عن محمد بن الحسين ـ صاحب الرَّقائق ـ، قال: حدثني الصلت بن حكيم، قال: حدثني أبو زيد ـ رجلٌ من أهل البحرين ـ، قال: غسَّلت ميِّتًا بالبحرين، فإذا مكتوبٌ على لحمه: (طوباك يا غريب)، فذهبت أنظر، فإذا هو بين الجلد واللحم[2].

٥٧ ـ قال أبو بكر: أنشدني محمد بن القاسم[3] بن الحسن السراج، قال: أنشدني أبو جعفر بن الصفار:

نَـمَّ عـلـى سِـرٍّ وَجْـدِهِ الـنَّـفَـسُ ... فـالدَّمعُ مِن مُقلتَيْهِ مُنْبَجِس[4]
مُــدَلَّــهُ والِــهُ لَــه حُــرَقٌ ... أنـفـاسُـهُ بِـالـحَـنيـنِ تُـخـتَـلـس
يا بأبي[5] وجهُهُ الجميلُ الذي ... يَـفُـوقُ وجَـهَ الـمُـدَلَّـلِ الـمَـلِـس
يـا بـأبـي، جِـسـمُـه الـزَّكـيُّ وإن ... كـانَ عـلـيـه خُـلَـيِّـقٌ دَنِـس

= مع أحاديث أخر، وقال: كل هذه الأحاديث غير محفوظة.اهـ.
وقال العُقيلي في «الضعفاء» (٥/ ٢٢): عائذ بن نسير، عن عطاء، منكر الحديث.اهـ.
وفي «تهذيب التهذيب» (٧/ ٢٠٢) عن أحمد بن حنبل: رواية عطاء عن عائشة رضي الله عنها، لا يحتجُّ بها إلَّا أن يقول: سمعتُ.اهـ.

(١) في الأصل: (يسار)، والصواب ما أثبته كما في «تاريخ بغداد» (٤/ ٧٠٦).
(٢) رواه ابن عساكر في «تعزية المسلم عن أخيه» (٩٢) من طريق المُصنف.
(٣) في المطبوع (دار ابن القيم): (أبو محمد القاسم...).
(٤) في «مقاييس اللغة» (١/ ١٩٩): (بجس): الباء والجيم والسين: تفتح الشيء بالماء خاصة.
(٥) أي: يا لهفي عليه، ويا ويلي عليه. «تهذيب اللغة» (٦/ ١٦٢).

إن ماتَ في غُربةِ الغريبِ فقد ناحَ عليه الضِّياءُ والغَلَس[(١)]

قال محمد بن الحسين:

٥٨ ـ فإن قال قائل:

فكل من مات غريبًا يكون موته شهادةٌ على ظاهر الخبر؟

قيل له: الغريب على وجهين:

أ ـ فغريبٌ يموت طائعًا لله عَزَّ وَجَلَّ بغربته، وهم على أصناف شتَّى، كلها محمودة، فهم الذين يُرتجى أن يكون موت أحدهم شهادة. [٦٢/أ]

ب ـ وغريبٌ عاصٍ لله عَزَّ وَجَلَّ بغُربتِه، وهم على أصنافٍ شتَّى كلها مذمومة، وفرض عليهم التوبة من الغُربة، والرجوع عما تغرَّبوا له.

٥٩ ـ فإن قال قائل:

فصف لنا الغريب الطائع لله عَزَّ وَجَلَّ في غُربته، حتى لا نتغرَّب إلَّا في طاعةٍ.

قيل له:

• من تغرَّبَ في حجٍّ، أو عمرةٍ، أو جهادٍ؛ فمن مات في خروجه أو رجوعه؛ فهو شهيد.

• ومن خرجَ في طلب العلمِ يُريدُ [وجه] اللهِ الكريمِ بعلمه ليعلمَ ما افترض الله عليه فيستعملَه، ويعلَمَ ما حرَّم الله عليه فينتهي عنه فمات؛ فهو شهيد.

• ومن خرج زائرًا لأخٍ في الله عَزَّ وَجَلَّ، أو لزيارةِ رحمٍ يبرُّهم بزيارته فمات؛ فهو شهيد.

(١) في «الصحاح» (٣/٩٥٦): (الغَلَسُ): ظلمة آخر الليل.

• ومن كان في بلدٍ ظهرت فيه الفتنُ، فخشي على دينه وماله وأهله ففرَّ منه إلى بلدٍ غيره فمات؛ فهو شهيد.

• ومن ضاقَ عليه المكسبُ الحلال في بلده فخرج إلى بلدٍ غيره ليكتسبَ الحلال فمات؛ فهو شهيد.

• ومن شردَ له ولدٌ، أو أبقَ[1] له عبدٌ، أو أَمَة فخرج في طلبهم فمات؛ فهو شهيد.

٦٠ ـ وأما صفةُ من تغرَّب في معصيةٍ، مثل:

• أن يقطعَ الطريق على المسلمين.

• أو أن يُعين الخوارج.

• أو خرج يسعى في الأرض فسادًا.

• أو اختدعَ ولدَ الرجل، أو عبدًا أو أَمة فهرب بهم فتغرَّب.

• أو خرجَ في تجارةٍ مُحرَّمةٍ لا يُبالي ما نقص من دينه إذا سلمت له دنياه.

فهؤلاء وما يُشبه أمثالهم عصاة لله عَزَّوَجَلَّ بتغرُّبهم، وفُرِضَ عليهم التوبة والرجوع عن قبيح ما خرجوا له، فإن ماتوا في غُربتهم لم تُحمد أحوالهم[2].

---

(١) أبق: ذهب العبد بلا خوف ولا كد عمل. «تهذيب اللغة» (١/ ١٠٨).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «المدارج» (٣/ ١٩٦): فالغربة ثلاثة أنواع:

ـ غربة أهل الله وأهلِ سنة رسوله بين هذا الخلق. وهي الغربة التي مدح رسول الله ﷺ أهلها. وأخبر عن الدين الذي جاء به: أنه (بدأ غريبًا) وأنه (سيعود غريبًا كما بدأ)، و(أن أهله يصيرون غرباء). ولكن أهل هذه (الغُربة) هم أهل الله حقًّا. فإنهم لم يأووا إلى غير الله، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله ﷺ. ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم. فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم. فيقال =

٦١ ـ أخبرنا محمد، قال: ثنا أبو بكر عمر بن سعد القراطيسي، قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد [٦٢/ب] بن عبيد القُرشي، قال: حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا زكريا بن أبي خالد، [قال: حدثني الحسن بن إسماعيل بن مُجالد]، قال: خرج فتًى يطلبُ الدنيا، فتعذَّرت عليه، فكتبَ إلى أُمِّه:

سأكسِبُ مالًا أو أُرى في ضَريحةٍ ... من الأرضِ لا يَبكي عليَّ سَكوبُ
ولا وَالِهٌ حَرَّى عليَّ حَزينَةٌ ... ولا أحدٌ ممن أُحِبُّ قَريبُ
سِوى أن يَرى قبري غريبٌ، فرُبَّما ... بكى أن يَرى قَبرَ الغريبِ غريبُ

فوافى الكتاب وقد ماتت أُمُّه، فأجابته خالته، [فقالت]:

تذكَّرتَ أحوالًا وأذريتَ عَبرةً ... وهيَّجتَ أحزانًا وذاكَ عَجيبُ
فإن تَكُ مُشتاقًا إلينا فإنَّنَا ... إليكَ ظِمَاءٌ والحَبيبُ حبيبُ(١)
فامْنُنْ(٢) على أُمٍّ عليكَ شَفيقةٍ ... لوجهِكَ لا تَثوي وأنت غَريبُ

= لهم: «ألا تنطلقون حيث انطلق الناس؟ فيقولون: فارقنا الناس، ونحن أحوج إليهم منا اليوم، وإنا ننتظر ربنا الذي كنا نعبده».

فهذه الغربة لا وحشة على صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس، وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا، فوليُّه الله ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه. . .

ـ النوع الثاني: من الغربة: غربة مذمومة، وهي غربة أهل الباطل، وأهل الفجور بين أهل الحق، فهي غربة بين حزب الله المفلحين، وإن كثر أهلها فهم غرباء على كثرة أصحابهم وأشياعهم، أهل وحشة على كثرة مؤنسهم، يُعرفون في أهل الأرض، ويخفون على أهل السماء.

ـ النوع الثالث: غربة مشتركة، لا تُحمد ولا تُذم، وهي الغربة عن الوطن؛ فإن الناس كلهم في هذه الدار غرباء، فإنها ليست لهم بدار مقامٍ، ولا هي الدار التي خلقوا لها. . . إلخ.

(١) عند ابن أبي الدنيا: (كئيبُ).
(٢) وعند ابن أبي الدنيا: (فَمُنَّ).

فإن الذي يأتيكَ بالرِّزقِ نائيًا ... يَجيءُ به والحَيُّ منكَ قَريبُ[(١)]

٦٢ ـ أخبرنا محمد، قال: أنشدني أبو حفص عمر بن جعفر الطبري لبعض الحُكماء:

زَعَمَ الذين تشرَّقوا وتغرَّبوا ... أن الغريبَ وإن أُعِزَّ ذَليلُ
[فأجبتهم: إن الغريبَ إذا اتقى ... حيث استقلَّ به الرِّكابُ جليلُ][(٢)]
قالوا: الغريبُ يُهانُ، قلتُ تَجلُّدًا: ... إن الإلهَ بنصرِه لكفيلُ
قالوا: الغريبُ إذا يموتُ ببلدةٍ ... لم يُبكَ أو يُسمعْ عليه عَويلُ
قلت: الغريبُ كفاه رحمةُ ربِّه ... وغِنى البُكاءِ على الفقيدِ قَليلُ

٦٣ ـ قال محمد بن الحسين: أنشدني بعض المصريين من أصحابنا لبعض الحُكماء:

تغرَّبتُ عن أهلي فَظَلْتُ مُشَرَّدًا ... فريدًا وحيدًا في البلاد أدور
وخلفت إخواني وأهلي وجيرتي ... يَنُوحون شَجوًا، إنني لصبور
ولي وطنٌ ما إنْ على الأرضِ مِثلُه ... ولكنْ مَقاديرٌ جرتْ وأُمورُ

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

٦٤ ـ [أغربُ] الغرباءِ في وقتنا هذا:

- من أخذَ بالسُّنن، وصبر عليها.
- وحَذِرَ البدعَ، وصبرَ عنها.
- واتبعَ آثارَ من سَلَفَ من أئمة المسلمين.
- وعرفَ زمانه، وشدَّة فساده، وفساد أهله؛ فاستغنى[(٣)] بإصلاح

(١) رواه المصنف من طريق ابن أبي الدنيا في «العيال» (١٦٧)، و«القناعة والتعفف» (١١٩) وما بين [ ] منه.
(٢) ما بين [ ] من «إنباء الغمر بأبناء العمر» (١/ ٥٠٠)، مع تصرف يسير، و«المطبوع».
(٣) في «المطبوع»: (فاشتغل).

شأن نفسه من حفظِ جوارحه، وترك الخوض فيما لا يعنيه، وعَمِلَ في إصلاح كسرته.

• وكان طلبه من الدنيا ما فيه كفايتُه في ترك الفضل الذي يُطغيه.

• وداري أهل زمانه ولم يُداهنهم، وصبر على ذلك؛ فهذا غريبٌ، [وقلَّ] من يأنسُ إليه من العشيرة والإخوان، ولا يضرُّه ذلك[(١)].

(١) في «الإبانة الكبرى» (٢٠) عن حزم القطيعي، قال: مرَّ بنا يونس على حمارٍ، ونحن على بابِ ابنِ لاحقٍ، فوقف، فقال: أصبح من إذا عرفَ السُّنةَ عرفها غريبًا، وأغربُ منه من يعرِّفها.

- وفي «الحلية» (١/ ٢٦) قال أبو محمد التستري: أيما عبد قام بشيء مما أمره الله به من أمر دينه فعمل به، وتمسَّك به، فاجتنب ما نهى الله تعالى عنه عند فساد الأمور، وعند تشويش الزمان، واختلاف الناس في الرأي والتفريق إلَّا جعله الله إمامًا يقتدى به، هاديًا مهديًا، قد أقام الدين في زمانه، وأقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الغريب في زمانه الذي قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ**».

- وفي «الجامع لأخلاق الرواي» (٩١) قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: أفضل المسلمين رجل أحيا سنة من سنن الرسول ﷺ قد أُميتت، فاصبروا يا أصحاب السُّنن رحمكم الله، فإنكم أقلَّ الناس.

- قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله في «غربة الإسلام» (١/ ١٢٥): وأما الغرباء فهم أهل السنة والجماعة، وهم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة كلها تنتسب إلى الإسلام، ووراء ذلك الأدعياء الذين ينتسبون إلى الإسلام، ويدّعونه وهم عنه بمعزل، فمنهم فئام قد لحقوا بالمشركين، وفئام يعبدون الأوثان، وفئام من الدهرية وعباد الطبيعة، وفئام من المعطلة والجهمية، وأفراخ القرامطة والباطنية، والحلولية والاتحادية، وغُلاة الصوفية، والروافض، فهؤلاء أدعياء الإسلام، وما أكثرهم لا كثَّرهم الله.

فالفرقة الناجية بين جميع المنتسبين إلى الإسلام كالشعرة البيضاء في الجلد الأسود، فهم غرباء بين المنتسبين إلى الإسلام، فضلًا عن أعداء الإسلام من =

٦٥ ـ فإن قال قائل:

افْرُقْ لنا بين المُداراةِ والمُداهنةِ.

فقيل له:

المُداراة التي يُثاب عليها العاقل، ويكون محمودًا بها عند الله عَزَّوَجَلَّ، وعند من عقل عن الله عَزَّوَجَلَّ: هو الذي يُداري جميع الناس الذين لا بُدَّ له منهم، ومن مُعاشرتهم، لا يُبالي ما نقص من دنياه، وما انتُهِكَ به من عرضِه[1] بعد أن يَسلم دينه؛ فهذا رجلٌ كريم غريب في زمانه.

والمُداهنةُ: فهو الذي لا يُبالي ما نقصَ من دينه إذا سلمت له دنياه، قد هان عليه ذهاب دينه وانتِهاك عرضه، بعد أن تسلم له دنياه؛ فهذا فعل مغرور[2].

= سائر الأمم، وهم في غربتهم متفاوتون، فأهل الإسلام غرباء في الناس، وأهل الإيمان غرباء في المسلمين، وأهل العلم بالكتاب السُّنة غرباء في المؤمنين والداعون منهم إلى الخير، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، الصابرون على أذى المخالفين لهم أشد غربة، وقليل ما هم، قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيهم: أولئك الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إياك أن تغترَّ بما يغترّ به الجاهلون، فإنهم يقولون: لو كان هؤلاء على حقٍّ لم يكونوا أقل الناس عددًا، والناس على خلافهم، فاعلم أن هؤلاء هم الناس، ومن خالفهم فمشبهون بالناس، وليسوا بناسٍ، فمن الناس إلا أهل الحق، وإن كانوا أقلهم عددًا.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يكن أحدكم إمَّعه، يقول: أنا مع الناس، ليوطِّن أحدكم نفسه، على أن يؤمن ولو كفر الناس. انتهى.

(١) العرض: موضع المدح والذم من الإنسان. قال ابن قتيبة: عِرض الرجل: نفسُه وبدنُه لا غير. «نهاية» (٣/ ٢٠٩).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الروح» (٢/ ٦٥٢): المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما: أن المُداري يتلطّف بصاحبه حتى يستخرج منه الحقّ أو يردَّه عن الباطل، والمداهن يتلطّف به ليُقِرَّه على باطله ويتركَه على هواه. =

= فالمُداراة لأهل الإيمان، والمُداهنة لأهل النفاق.

وقد ضُرِبَ مثل لذلك مطابق، وهو حالُ رجل به قُرحةٌ قد آلمته فجاءه الطّبيبُ المُداوي الرّفيق، فتعرَّف حالها، ثم أخذ في تليينها، حتى إذا نضجتْ أخذ في بطِّها برفق وسهولة، حتى إذا أخرج ما فيها، ثم وضع على مكانها من الدّواء والمرهم ما يمنع فسادها ويقطع مادَّتها، ثم تابع عليها بالمراهم التي تُنبِتُ اللّحم، ثم يذُرُّ عليها بعد نبات اللحم ما ينشف رطوبتها، ثم يشدُّ عليها الرِّباط، ولم يزل يتابع ذلك حتى صلحت.

والمُداهِن قال لصاحبها: لا بأس عليك منها، وهذه لا شيء، فاسُترها عن العيون بخِرقة، ثم الهَ عنها. فلا تزل مادَّتُها تقوى وتستحكم حتى عَظُم فسادها. اهـ.

ـ قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله كما في «الدرر السنية» (٨/ ٧٧): إن المداهن، الطالب رضا الخلق، أخبث حالًا من الزاني والسارق والشارب؛ قال ابن القيم رحمه الله: وليس الدين بمجرد ترك المحرمات الظاهرة، بل بالقيام مع ذلك بالأمور المحبوبة لله، وأكثر الديِّنين لا يعبؤون منها، إلَّا بما شاركهم فيه عموم الناس، وأما الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة لله ورسوله وعباده، ونصرة الله ورسوله وكتابه ودينه، فهذه الواجبات، لا يخطُرن ببالهم، فضلًا عن أن يريدوا فعلها، فضلًا عن أن يفعلوها. وأقل الناس دينًا، وأمقتهم إلى الله: من ترك هذه الواجبات، وإن زهد في الدنيا جميعها.

وقلَّ أن يُرى منهم من يحمر وجهه، ويتمعَّر في الله، ويغضب لحرماته، ويبذل عرضه في نصرة دينه؛ وأصحاب الكبائر أحسن حالًا عند الله من هؤلاء. انتهى.

فلو قُدِّر أن رجلًا يصوم النهار، ويقوم الليل، ويزهد في الدنيا كلها، وهو مع ذلك لا يغضب، ولا يتمعَّر وجهه ويحمر لله، فلا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله، وأقلهم دينًا؛ وأصحاب الكبائر أحسن حالًا عند الله منه.

وقد حدثني من لا أتهم عن شيخ الإسلام ـ إمام الدعوة النجدية ـ، أنه قال مرَّة: أرى ناسًا يجلسون في المسجد على مصاحفهم، يقرؤون ويبكون، فإذا رأوا المعروف لم يأمروا به، وإذا رأوا المنكر لم ينهوا عنه، وأرى أناسًا يعكفون عندهم، يقولون: هؤلاء لحى غوانم، وأنا أقول: إنهم لحى فوائن، فقال السامع: أنا لا أقدر أقول: إنهم لحى فوائن، فقال الشيخ: أنا أقول: =

فإذا عارضه العاقل، فقال: هذا لا يجوز لك فعله.

قال: نُداري، فيُكسِبوا[(١)] المُداهنة المُحرَّمة اسم المُداراة، وهذا غلطٌ كبير[(٢)] من قائله، فاعلم ذلك.

٦٦ ـ قال النبي ﷺ: «**مُداراةُ الناسِ صدقةٌ**»[(٣)].

٦٧ ـ وقال الحسن: المؤمنُ يُداري ولا يُماري، ينشرُ حكمة الله، فإن [٦٣/ب] قُبل[ـت] حَمِدَ الله، وإن رُدَّت حَمِدَ الله عز وجل.

٦٨ ـ وقال محمد ابن الحنفيَّة رحمه الله: ليس بحكيمٍ من لم يُعاشر بالمعروفِ لمن لا يجد من معاشرتِه بُدًّا، حتى يجعل الله عز وجل له منه

= إنهم من العُمي البُكم.

ويشهد لهذا: ما جاء عن بعض السلف، أن الساكت عن الحقِّ شيطان أخرس، والمُتكلم بالباطل شيطانٌ ناطق؛ فلو عَلِمَ المُداهن الساكت، أنه من أبغض الخلق عند الله، وإن كان يرى أنه طيب، لتكلم وصدع. ولو عَلِمَ طالبُ رضا الخلق بترك الإنكار عليهم، أن أصحاب الكبائر أحسن حالًا عند الله منه، وإن كان عند نفسه صاحب دينٍ، لتاب من مداهنته ونزع، ولو تحقق من يبخل بلسانه عن الصدع بأمر الله: أنه شيطان أخرس، وإن كان صائمًا قائمًا زاهدًا، لما ابتاع مشابهة الشيطان بأدنى الطمع.

اللهم إنا نعوذ بك من كل عمل يُغضبُ الرحمٰن، ومن كل سجيَّةٍ تُقرِّبنا من التشبه بالشيطان، أو نُدَاهِنَ في ديننا أهل الشُّبهات والنفاق والكُفران. اهـ.

(١) في «المطبوع»: (فيكسوا).

(٢) في الأصل: (كثير).

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٨/ ٤٨٧)، وابن السُّني في «عمل اليوم الليلة» (٣٢٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧١).

قال ابن أبي حاتم رحمه الله في «العلل» (٢٣٥٩): سألت أبي عن حديث رواه المسيب بن واضح، عن يوسف بن أسباط، عن الثوري، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مداراة الناس صدقة**»؟.

قال أبي: هذا حديث باطل لا أصل له، ويوسف بن أسباط دفن كتبه. اهـ.

فرجًا ومخرجًا(١).

(١) في «مناقب الشافعي» لابن أبي حاتم (ص٢١٢) قال الشافعي: اعلم أنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر الذي فيه صلاحك فالزمه.
- وفي «العزلة» للخطابي (٣٨٢) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خالط الناس وزايلهم [يعني: فارقهم]، ودينَك لا تَكْلِمَنَّه. [يعني: لا تفعل شيئًا يجرح دينك ويخدشه].
قال: يريدُ: خالِطهم ببدنِكَ، وزايلْهم بقلبك؛ وليس هذا من باب النفاق؛ ولكنه من باب المُداراة. وقد قال النبي ﷺ: «**مُداراة الناس صدقه**».
ثم أسند عن ميمون بن أبي شبيب، قال: قال صَعْصَعة بن صُوحان لابن أخيه: كنتُ أحبَّ إلى أبيك منك، وأنت أحبُّ إليَّ من ابني؛ إذا رأيتَ المؤمنَ فخالِصه، وإذا رأيتَ الفاجرَ فخالِقْه.
وعن الحسن قال: يقولون: المُداراةُ نصف العقل، وأنا أقول: هو العقل كله.
ثم ذكر أثر محمد ابن الحنفية رحمه الله كما في الأصل.
ثم قال: أنشدني بعض أهل الأدب، قال: أنشدني المُتنبي:
ومِن نَكَدِ الدنيا على الحُرِّ أن يَرى عَدوًّا له ما مِن صداقتِه بُدُّ. اهـ.
وللاستزادة في هذا الباب انظر كتاب «مداراة الناس» لابن أبي الدنيا رحمه الله.
وبهذا يقع ختام التعليق على هذا الكتاب المبارك سائلًا الله تعالى أن يجعله من زاد الآخرة النافع يوم نلقاه إنه جواد كريم.
هذا وقد وقفت على قصيدة حسنة جدًّا للعلَّامة الشيخ سليمان بن سحمان (١٣٤٩هـ) رحمه الله، لها صِلةٌ بما قررَّه المصنف رحمه الله في كتابه هذا، يُبيِّن فيها الشيخ غُربة الإسلام في وقته، فقال:

على الدِّينِ فليَبكِ ذَوُو العلم والهُدَى ... فقد طُمِسَتْ أَعلامُه في العَوالِمِ
وقد صارَ إقبَالُ الورَى واحتِيالهمْ ... على هذه الدنيا وجَمعِ الدَّراهِمِ
وإصلاحِ دُنياهُمْ بإفسَادِ دينهِمْ ... وتَحصِيلِ مَلذُوذاتِها والمطاعِمِ
يُعادونَ فيها بَل يُوالونَ أهلَهَا ... سَواءٌ لَديهِم ذُو التُّقى والجرائِمِ
إذا انْتُقِصَ الإنسانُ منها بما عَسَى ... يكونُ له ذُخرًا أتى بالعظائِمِ
وأبدَى أعاجِيبًا مِن الْحُزنِ وَالأسى ... على قِلّةِ الأنصَارِ مِن كلِّ حازِمِ
وناحَ عليها آسِفًا مُتظلِّمًا ... وباتَ بما في صَدرِهِ غيرَ كاتِمِ =

= فأمَّا على الدِّينِ الحنيفِيِّ والهُدَى ... ومِلَّةِ إبراهِيمَ ذاتِ الدَّعائِمِ
فليسَ عليها والذي فَلَقَ النَّوَى ... مِنَ الناسِ مِن باكٍ وآسٍ ونادِمِ
وقد دَرَسَتْ منها المعالِمُ بل عَفَتْ ... ولم يَبْقَ إلَّا الاسمُ بينَ العوالِمِ
فلا آمِرٌ بالعُرفِ يُعرَفُ بَينَنَا ... ولا زاجِرٌ عن مُعضِلاتِ الجرائِمِ
ومِلَّةُ إبراهِيمَ غُودِرَ نَهْجُها ... عفاءً فأضحَتْ طامِساتِ المعالِمِ
وقد عُدِمَتْ فِينا وكيف وقَد سَفَتْ ... عليها السَّوافِي في جميعِ الأقالِمِ
وما الدِّينُ إلَّا الحُبُّ والبُغضُ وَالولا ... كذاكَ البَرَا مِن كلِّ غاوٍ وآثِمِ
وليس لها مِن سَالِكٍ مُتَمسِّكٍ ... بدينِ النَّبِيِّ الأبطَحِيِّ ابنِ هاشِمِ
فلسنَا نَرَى مَا حلَّ في الدِّينِ وامَّحَتْ ... به المِلَّةُ السَّمحاءُ إحدَى القوَاصِمِ
فنأسَى على التقصيرِ مِنَّا ونلتَجِي ... إلى الله في مَحْوِ الذنوبِ العظائِمِ
فنشكُو إلى الله القلوبَ التي قَسَت ... ورَانَ عليها كَسْبُ تِلكَ المآثِمِ
ألسنا إذا ما جاءَنا مُتَضَمِّخٌ ... بأوضَارِ أهلِ الشِّركِ مِن كلِّ ظالِمِ
نَهَشُّ إليهِم بالتَّحِيَّةِ والثَّنَا ... ونُهرَعُ في إكرامِهِم بالوَلائِمِ
وقد بِرِئَ المعصُومُ مِن كلِّ مُسلِمٍ ... يُقِيمُ بِدَارِ الكفرِ غيرَ مُصَارِمِ
ولا مُظهِرٍ للدِّينِ بين ذَوِي الرَّدا ... فهل كان مِنَّا هَجرُ أهلِ الجرائِمِ
ولكِنَّمَا العقلُ المعِيشِيُّ عندنا ... مُسَالَمَةُ العاصِينَ مِن كلِّ آثِمِ
فيا مِحنةَ الإسلامِ مِن كلِّ جاهِلٍ ... ويا قِلَّةَ الأنصارِ مِن كلِّ عالِمِ
وهذا أَوَانُ الصَّبرِ إن كُنتَ حازِمًا ... على الدِّينِ فاصبِرْ صبرَ أهلِ العزَائِمِ
فمَن يَتمَسَّك بالحنيفِيَّةِ التي ... أتتنَا عَنِ المعصُومِ صَفوَةِ آدَمِ
له أَجرُ خَمسينَ امرَأً مِن ذوِي الهُدَى ... مِنَ الصَّحبِ أصحَابِ النبيِّ الأكارِمِ
فَنُح وَابكِ وَاستنصِرْ بِرَبِّكَ راغِبًا ... إليه فإنَّ اللهَ أرحَمُ رَاحِمِ
لِيَنصُرَ هذا الدِّينَ مِن بَعدِ مَا عفتْ ... مَعَالِمُه في الأرضِ بين العوالِمِ
وصَلِّ على المعصُومِ وَالآلِ كلِّهِم ... وَأَصحابِه أهلِ التُّقَى وَالمكَارِمِ
بِعَدِّ وَمِيضِ البرقِ وَالرَّملِ وَالحصَى ... وما انهَلَّ وَدقٌ مِن خِلالِ الغمائِمِ

- قال الشيخ حمود التويجري (١٤١٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ في «غربة الإسلام» (١/ ٢٧): أقول: رحمة الله علينا وعلى الشيخ سليمان كيف لو رأى ما حدث بعده من العظائم التي كان يخشى وقوعها في قوله:

وإني لأخشى أن تجيء عواضل ... وليس لها من مُنكرٍ حين تُفتعل =

قال محمد بن الحسين:

فمن كان هكذا؛ فهو غريبٌ، طُوبى له، ثم طُوبى له.

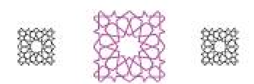
* * *

آخر الكتاب المسمى بـ «الغرباء».
وكان في آخره:

* أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين، قال: ثنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشِّكْلي، قال: حدثني محمد بن الحسين بن العلاء البلخي، قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازي، يقول: يا ابن آدم، طلبت الدنيا طلب من لا بُدَّ له منها، وطلبتَ الآخرة طلب من لا حاجة له إليها، والدنيا قد كُفيتَها، وإن لم تطلبها، والآخرة بالطلب منك تنالها، فاعقل شأنك.

* وقال يحيى: ابن آدم، حُفَّت الجنة بالمكاره، وأنت تكرَهُها، وحُفَّت النار بالشهوات، وأنت تطلبها، فما أنت إلَّا كالمريض الشديد الدَّاء، إن صبرت نفسك على مضض الدواء اكتسبت بالصبر عاقبة الشفاء، وإن جزعت نفسك على ما تلقى من ألم الدواء طالت بك علَّتُك.

نجز بحمد الله وعونه ومنّه وكرمه، على يد العبد الضعيف، الراجي رحمة ربه وغفرانه، محمد بن طولو بُغا السيفي، وذلك نهار الأحد، الثاني والعشرين من ربيع الآخر، سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة، بجوار الجامع السيفي بدمشق المحروسة، والحمد لله.



= فقد وقع الأمر كما قال رَحِمَهُ اللهُ، وجاءت عواضل كثيرة فلم تُنكر، ثم زاد الأمر حتى أُنكر على من ينكر المنكر، وقمع بعضهم، وقهر، واضطهد... إلخ.

٣ ـ فهرس الفوائد

الفائدة	رقم الأثر

٤ ـ فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة